الفتوحات التاسعة

بسم الله الرحمن الرحيم

...-...-...-...

لا يوجد فرد مستقل في المجتمع. هذا تناقض في التعبير والواقع. لأن المجتمع من حيث هو مجتمع يمنع استقلالية الفرد المطلقة ولابد حتى يصبح فرداً في المجتمع أن يفقد شيئاً من استقلاله بمعنى ما من الفقد. فإذا نظرت في المجتمعات الواقعية، ستجد أن كل فرد لابد من أن يكون متبعاً لقوانين، دافعا لضريبة، داخلاً في تنظيم معيشي، وعضواً في نظام سياسي. وواضع القانون ليس الفرد ذاته، ولا واضع الضريبة، ولا التنظيم المعيشي، ولا النظام السياسي. هذه الأربعة يضعها حتماً وينفذها قطعاً أشخاص غير الفرد أيا كان هذا الفرد، فلابد من وجود جماعة ما وعدّة أفراد، فالقانون والضريبة والاقتصاد والسياسة لا تقوم ولا تتغيّر برأي فرد وقوّته وحده ولا حتى في أعتى الديكتاتوريات والملكيات المطلقة فلابد للديكتاتور من عصابة تعينه وتشير عليه وتنفذ أمره وعامّة يتابعونه ولابد من أن يسترضيهم حتماً مهما كانت قبضته الحديدية وسياطه النارية تُلهب ظهور أكثرهم فلابد من مراعاته العامّة ولو درجة ما وهو أكبر وأول من يخشى ثورة العامّة.

ينبني على ذلك، أن الفرد الذي يزعم أنه "خارج عن السياسة" ولا يتدخل في "التنظيمات"، ويزهد في "المشاركة في صنع القرار السياسي والاجتماعي"، هو فرد يكذب على نفسه أو على مَن يبلّغهم رأيه الفاسد هذا أو على الاثنين معاً ولعلّه الأكثر شيوعاً "انظر كيف كذبوا على أنفسهم".

وينبني عليه أيضاً، أن التغيير الاجتماعي لابد له من عمل جماعي. "كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستئذنوه".

...

لا تكتب لأنك تريد أن تكتب، اكتب لأنه يجب عليك أن تكتب وجداناً.

...

لا يختفي إلا خائف، فكل أصحاب التنظيمات السرية يخافون ولو "حكموا العالم" بزعمهم أو زعم أتباعهم أو زعم خصومهم. "خيفة" و "خفية" شيء واحد من وجهين، "خيفة" تعبير عن حال النفس في ذاتها، "خفية" تعبير عن حال النفس بالنسبة لغيرها.

...

قالت: أنت تريد الظهور فتريد النور فلماذا تبرر العمل في الظلام للجماعات السرية؟

قلت: بالنسبة للجماعات السرية التي مهمتها حفظ العلوم الباطنية حصراً ونقلها جيلاً بعد جيل، فلابد من وجود فئة مختفية لأسباب أو على الأقلّ إن وُجدت هذه الفئة فلن أستغرب ذلك ولا أدعو إلى محاربتها لإخراجها من الاختفاء.

مثال النووي. كما أن القنبلة النووية سرّ خطير لا تجوز إذاعة كيفية صنعه، فكذلك العلم الباطني السرّي لابد من حفظه والتأكد من وجود فئة على الأقلّ تحسن فهمه واستعماله وإن انتشر للعامّة وتغيّر وتشوّه وتحرّف فإن ذلك مثل سقوط قنبلة ذرية على الأمّة يبيد أرواحها ويفسد عقولها ودينها، فحيث أن نبينا خاتم النبيين على تأويل الخاتم بالآخر والقرءان آخر الكتب بالمعنى الخاص للإنزال، فلابد من وجود فئة تحافظ على السرّ ولا تتأثّر بما يحصل في ظاهر الأمّة وعند الخاصة والعامّة.

من باب الإشارة: كان القراء من شهداء بئر معونة هم من مظاهر هؤلاء باعتبار، فإنهم كانوا إذا أمسوا يجتمعون "في ناحية المدينة"، فيظن أهاليهم أنهم في المسجد ويظن أهل المسجد أنهم في أهاليهم، فكانوا يجتمعون في "ناحية المدينة يصلّون ويتدارسون القرءان". وبهذا لدينا ثلاث منظمات في المجتمع، منظمة البيت وهي محلّ الأهل، ومنظمة المسجد وهي محلّ عامّة المسلمين، ومنظمة الناحية وهي محلّ خاصة القراء وهؤلاء يتخفون في عملهم ودراستهم عن الأهل والعامّة معاً، ولاحظ أنهم باجتماعهم في ناحية المدينة قد أوقعوا بقصدهم أو بغير قصدهم كُلّا من أهاليهم وعامّة المسلمين في وهم لكنه وهم لم ينشئوه بالكذب بل حصل بنفس عملهم ولم يكشفوا لهم حقيقته بل أبقوهم على وهمهم، حتى يخلص لهم عملهم. من هنا أخذتُ تسمية "الناحية" لتكون اسماً لمنظمة خواص القراء وأهل الإخلاص والسرّ، وهم أصحاب الكهف بالأصالة في كل عصر، حتى في عصر الأمن والكشف. وكان من كمال أصحاب الناحية هؤلاء، أنهم جمعوا في ذواتهم الطبقات الأربعة للنظام الهندوسي والذي هو أيضاً النظام الذي سارت ولا تزال تسير عليه الأمم عموماً من تقسيم الناس إلى أربع طبقات: العلماء والأمراء والتجار والخدم، فإن هؤلاء القراء كانوا علماء بصلاتهم ودراستهم، وكانوا أمراء أصحاب سيف كما تبيّن حين خرجوا في سرية بئر معونة بسيوفهم وقاتلوا عدوهم، وكانوا تجاراً بمعنى أصحاب حرف لأنهم كانوا يحتطبون في النهار ويستعذبون الماء، وكانوا خدماً لأنهم كانوا يجلبون ما يحصلون عليه ويضعونه في حجر النبي في الصباح وينفقون منه على أصحاب الصفة الفقراء فكانوا خدماً لهم من هذا الوجه. هؤلاء مثال الإنسان الكامل المسلم، الجامع للطبقات والموحّد للمفترقات. فلما قيلهم فيهم أنهم من "خيار المسلمين" وأولاهم وأفضلهم، ولم يجد النبي أي حزن على أحد كما وجد على هؤلاء القراء الكاملين حين قُتلوا غدراً من قبل شياطين أهل نجد. وللقراء أعداء من أهل نجد كل زمان، وشياطينهم على الدوام،

ولذلك لابد من التحرز وأخذ العبرة من حالهم في بئر معونة. ولعلّ تسمية بعض مواضع "الناحية" باسم "بئر معونة" حتى يتذكّر الناس هذه الحادثة يكون حسناً، ويكون أيضاً اسماً له باطن لأن هؤلاء القراء هم بئر ماء الحياة وبهم تكون معونة الأمّة في حفظ دينها وكمال مقامها ونموذج تمام نورها وتوحيدها. كذلك "بئر معونة" ثمانية حروف، بعدد أبواب الجنّة، ويصحّ ذلك في هؤلاء لأنهم الذين يدخلون من جميع أبواب الجنّة بل هم أبواب الجنّة لمن عقل، "رياض الجنّة..حِلَق الذكر"، والذاكر في نفسه إذن روضة من رياض الجنّة بدليل "اذكر ربّك في نفسك".

بما أن الله قال "أكثر الناس لا يعلمون"، وقال بأنه يوجد عدو نعلمهم وعدو لا نعلمهم، وبيّن أن أكثر الناس يكرهون الحق، فهذه النزعات الدنيوية في الناس عموماً تجعلنا نبني أمرنا في حفظ الدين على افتراض العدواة وإمكان حصولها حتى إن لم تكن واقعة الآن. وبناء على ذلك، وجود فئة متخفية تحفظ وتنقل الدين بأسراره وحقائقه كما هي بدون أي تأثر بأمزجة الناس وتغيّر أهواء العوام والحكام، أمر معقول وحسن.

ثم إن سبب النجاة الأصلي والجوهري هو التوحيد وبقية فروض ونوافل الدين المعروفة، وهذه كلها مشهورة وبأيدي الناس، بالتالي لا يوجد كتم للبينات من قبل القراء وأصحاب الناحية من هذا الوجه. وأيضاً، ومن باب التبيين المفروض على العلماء، يجب على القراء أن يُظهروا ثمار صلواتهم ودراساتهم للناس، بشكل أو بآخر ولو أرادوا إخفاء أشخاصهم فإنها من قبيل صدقة السرّ، فليس بالضرورة التصدق علانية في مال الدنيا، وكذلك في مال الله المهم التصدق به وإظهار الكلمة. فيمكن أن يختاروا من بينهم شخصاً كل فترة لإظهار كل ما فُتح عليهم في وقت ما ويكون هذا الشخص الظاهر ناقلاً لكلامهم ولو نسبه إلى نفسه من حيث أنه رسولهم. ويمكن في زمننا هذا أن ينشروه في المواقع ويرسلونه إلى المعاهد المختلفة بدون اسم. ويمكن حتى أن يضعوا الكتب في المساجد ويتركوها هناك ليأخذها من يأخذها ويأمروه فيها بإظهارها. توجد طرق كثيرة لإظهار الكلمات بدون كشف المؤسسة السرّية التي وراءها. وهذا أيضاً أنقى لقلوبهم وأبعد عن الرياء وأخلص للأجر بإذن الله.

...

يقال أن حواء سُمّيت كذلك لأنها خُلقت من حي، بالتالي ءادم خُلق من ميت وهو الطين. فهذا يدل على أن المرأة أعلى وأكمل من حيث أن المخلوق من حي أعلى من المخلوق من ميت، وشرف حواء على ءادم كشرف ءادم على الطين. كذلك هذا يبيّن سبب ميل المرأة عادةً إلى حفظ حياة الشيء والسلام، بينما الرجل يميل عادةً إلى الهدم والقتل، لأن الرجل الغافل يتصرف من أصله السفلي وهو طين ميت فلا يبالي بإعادة الأشياء إلى الطين، بينما المرأة ولو غافلة فإنها

تميل إلى حفظ الصورة الكاملة للأشياء. كذلك هذا يبيّن سبب ميل الرجل إلى الفكر الميتافيزقي المجرّد، بينما المرأة تميل إلى الفكر الطبيعي والحي والكلّي، فيميل الرجل إلى تبسيط الأمور واختزالها ووضعها في قوالب ميتة جامدة كالطين، بينما المرأة ترى الحقيقة في صورته الواقعية الكلية الحيوية كآدم الذي خُلقت منه. فمن زعم أن خلق حواء من ءادم انتقاص للمرأة، لم يعقل شيئاً، بل إن كان فيه انتقاص فهو انتقاص من ءادم ورفع لحواء عليه. من هنا قال النبي أن الكريم مَن أكرم المرأة، فحدد الكرامة بإكرام المرأة لا بإكرام الرجل، لأنه لا يُكرم الكريم إلا الكريم ولا يعرف الكرم للكرام إلا الكريم.

...

في التفسير: الظاهر نسبي، والباطن مطلق.

فالظاهر واحد من اثنين:

إما أن يكون كالقشرة التي غرضها حفظ اللب فقط فإذا أخذت اللب بطلت قيمة القشرة (كأخذ يوسف قشرة "سبع بقرات" فقط لأخذ لبّ ظاهر البقرة الذي هو معنى السنة المجرّد، ثم بعد ذلك ألقى بالقشرة ولم يبالي بها ولم يأمر العمّال بحفظ صورة السبع بقرات بل بنى العمل الواجب عمله "تزرعون سبع سنين..." إلى آخر الآيات، ثم رمى بالقشرة ولم يعوّل عليها).

وإما أن يكون كالصورة والظلّ والتجلي الذي يحفظ الباطن مع منفعته في ذاته في حدود مجاله الظاهري (كقوله "حُرّم عليكم الميتة" فإن باطنه حق مطلق وهي الكلمة التي لا روح فيها مثلاً، لكن ظاهره أيضاً نافع لا أقلّ من حيث أن الأصل عدم أكل اللحوم للإنسان بل النباتات وهي الأسلم وأعلى فلمّا جاء تحريم الميتة كان ذلك موافقاً للأصل الأنفع لنفس الإنسان وخفّتها وشفافيتها وبسطها مع الشفقة على الحيوان الطبيعي مع حفظ صحة البدن وسلامته من مصائب اللحوم وأمراضها مع كون تسخير الأراضي الزراعية للنباتات لأكل الإنسان أفضل وكذلك أسلم للبيئة الطبيعية ونحو ذلك. فهنا الباطن حق والظاهر نافع.)

أما الباطن فواحد مطلق: والمعنى الباطني ما تعلّق بالذكر والعلم وما يتعلق بهما. ومن أصوله قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم "الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه وعالِم ومتعلم"، لذلك ستجد التأويلات الباطنية للآيات والكلمات الظاهرية ينفتح بواحد من هذين المفتاحين، مفتاح الذكر ومفتاح العلم. والذكر والعلم من شؤون النفس وخلاصها الأبدي وارتفاعها في الدرجات عند الله، وهو المقصود الذاتي والأولي والأصلي للدين والرسالات، وأما الدنيا فهي من حيث ذاتها "ملعونة ملعون ما فيها" لأنها فانية ومن حيث صورتها لا عقل يفيض منها، وإنما تتحوّل الدنيا من لعنة إلى رحمة لأن الكائن فيها من أهل الذكر والعلم. كذلك الحال في الكلام والنصوص، فلها دنيا وعليا، الدنيا هي الظاهر والعليا هي الباطن.

لذلك تجد الاعتراضات والانتقادات والخرافات تتعلّق عادةً بظاهر النص وأما باطنه فسليم حكيم على الدوام.

الذي يقول "الظاهر فقط" ليس مثل الذي يقول "الظاهر والباطن". حين يقول إنسان " الظاهر فقط" ستأتي عليه انتقادات صحيحة ونقض قوي معتبر، فالانحصار في الظاهر هو المشكلة بل المعضلة بل المصيبة بل الطامة. ومن زعم أن ظاهر بلا باطن خير من باطن بلا ظاهر فقوله هذا إن كان موجهاً للعلماء فهو دعوة للكفر، وإن كان موجهاً للعامّة فقد يكون له وجه إن كان يعتبر العامّة أصلاً أهل ظاهر ودنيا وتركهم الظاهر يساوي في نظره الإلحاد والخروج عن الدين مطلقاً فنعم من هذا الوجه يكون ظاهر الدين خير من الكفر بالدين بالكلية. إلا أنه لا ينبغي على العلماء وضع قواعد تجعل الناس كالأنعام وفي مستوى البهائم، فإن الناس كانوا كالبهائم قبل نزول الدين، فلا تجعلوهم بهائم حتى بعد نزول الدين، "ذرهم يأكلوا ويتمتعوا كما تأكل الأنعام".

بل نقول: إن كان ولابد من إقامة واحد من الاثنين حق الإقامة، فإقامة الباطن فقط خير من إقامة الظاهر فقط. لأن مقيم الباطن، أي صاحب الذكر والعلم، سيفيض منه الظاهر الحق وسيهدي الله قلبه للأحكام الظاهرية النافعة في نفسه وفي مجتمعه ومع الخلق والحق، حتى إن لم يدركها ذهنياً ويعرف مصدرها نصياً وشرعياً. "مَن يؤمن بالله يهدِ قلبه" "من يتوكل على الله فهو حسبه"، فصاحب الإيمان والتوكل وهما من أمور الباطن والقلب والغيب، محفوظ معصوم مسدد. ولا نرى مثل ذلك الضمان الإلهي لأهل الظاهر والذين يقدّمون الظاهر، بل نرى الوعيد الشديد من قبيل قوله في أهل ظاهر الدنيا "يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون"، وقوله في أهل ظاهر الدين "يحرفون الكلم" و "نسوا حظاً مما ذكروا به" و "تريدون عرض الدنيا" و "منكم مَن يريد الدنيا" و "يكفرون بما وراءه وهو الحق" ومن قولهم "لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم" وقوله "مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذّبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين" فبالرغم من حملهم التوراة ظاهراً سماهم مكذبين وظالمين وجعلهم في دركة الحمير. الباطني خير من الظاهري، واتباع الباطن أسلم وأصدق وأدق من اتباع الظاهر، فمن كان مفاضلاً بينهما ومختاراً لأحدهما فليختَر الباطن. ومن جمع فهو الكامل، بشرط أن يعرف كيفية التمييز بين الظاهر القشري والظاهر الظِلّي، أي القشري الذي التمسّك بظاهره ضرر أو نفع انتهى أجله، والظلّي الذي التمسّك بظاهره نفع وخير في مجاله.

الباطن كله نور لأهل العقل، والظاهر خيره ظِلّ وشرّه جهل.

...

لاختيار طريق الإيمان بالله والآخرة، توجد خطوتان، حجّتان عقليتان كافيتان للبدء في سلوك الطريق وجعل حياتك تدور حول مركز طلب المعارف الميتافيزيقية أو العرفانية.

الحجّة الأولى: الأمل. بمعنى، أنك تعليم يقيناً ١٠٠٪ أن بدنك سيموت، بالتالي كل أعمالك البدنية المباشرة كالأكل والجماع وغير المباشرة والتي هي وسائل مثل حياتك الاجتماعية ومساعيك المالية، كل هذه ستنتهي حتماً إلى الموت وستنتهي عاجلاً أم آجلاً. فطريق الحياة الجسمانية المادية لا أمل فيه في المحصلة، وكل ما تقوم به ستنتهي علاقتك به وعلاقته بك في لحظة ما لا تدري ولعلّ النَّفَس الأخير لك يكون نَفَسك هذا. بالتالي، طريق الحياة المادية منعدم ١٠٠٪. الآن، إن كان يوجد عالَم آخر بعد هذا، وكانت لك نفس غير البدن وهي خالدة، وكان لابد من عمل شيء الآن لتحصيل السعادة في ذلك العالَم، باختصار لو كان يوجد عالَم ميتافيزيقي وما وراء الطبيعة فإن الأولى بك الاهتمام بهذا العالَم وجعله مركز سعيك وطلبك من الآن. احتمالية وجود ما وراء الطبيعة وكونه حقاً لنقل أنه على أقلّ تقدير نسبته 0.01٪، ومع هذه النسبة الضئيلة فإنها أكبر من نسبة ١٠٠٪ التي لانتهاء حياتك المادية وكل مكاسبك فيها. بالتالي، الأمل موجود في الحياة الروحية، ومنعدم في الحياة المادية. فالأولى جعل ما فيه أمل أعلى وأهمّ مما لا أمل فيه.

الحجّة الثانية: الاتفاق. بمعنى، أن الغالبية العظمى من الناس في الماضي وفي الحاضر، يعتقدون بالأمر الميتافيزيقي ويؤمنون بما وراء الطبيعة، أيا كان تعريفهم له وتفصيلهم فيه. فالكل متفق على أصل وجوده، مختلف في وصفه وتفاصيله. بالتالي، حين تسير في طريق معرفة الأمر العرفاني وتجعل اكتسابه وتحقيق معارفه من مختلف الأمم والملل والنحل والأديان والفلسفات هو شغلك الشاغل ومركز اهتمامك، فإنك بذلك تمشي مع اتفاق عقلاء وجهلاء الأمم قاطبة عبر القرون إلا مَن شذّ منهم وأنكر مطلقاً بيقين مطلق كل وجود للأمر المافوق طبيعي. وأقول أنكر مطلقاً بيقين مطلق لأنك قد تجد أعتى الملاحدة من المفكرين وهو لا يجرؤ أن يجزم ١٠٠٪ بعدم وجود الأمر الماوراء طبيعي، ولا يستطيع ذلك أصلاً بناء على القواعد العقلية لأن أقصى ما يستطيع أن يقوله هو أنه يجزم بنسبة عالية من اليقين بعدم وجوده لكن لن يستطيع الجزم مطلقاً لأنه بكل بساطة لا يدري. ونادراً ما تجد مفكراً ملحداً ينكر بيقين مطلق ذلك. بالتالي لديك يقين الأمم قاطبة بعقلائها وجهالها، ولديك شكّ معظم الملاحدة ولو بنسبة قليلة جداً، ثم لا يكون ضدّ موقفك إلا نسبة قليلة جداً من الملاحدة الذين يجزمون بيقين مطلق بعدم وجود الميتافيزيقي وعدم جدوى دراسة الميتافيزيقا. واختيار مسلك المثبتين للميتافيزيقا إذن أولى من اختيار مسلك النافين له.

بناء على هاتين الحجّتين، تستطيع تأسيس حياتك على البحث عن الأمر الإلهي وتحقيق القضية الروحانية ودراسة المسائل العرفانية والتنقيب عن حقيقة العوالم الماورائية.

ونهاية بحثك هذا إما أن تكون تحصيلك لليقين الذي وجده العرفاء فتكون من الفائزين فوزاً عظيماً، وإما أن يتبيّن لك أن الأمر كله عبث وكذب ودجل ولا حقيقة فيه وهذا لن يؤثر كثيراً لأنك في النهاية ستموت حتماً وينتهي كل شيء إلى العدم. فإن فزت بالعلم بالأمر الأبدي فقد فزت، وإن فزت بمعرفة بطلان الأمر الأبدي فلن تخسر كثيراً لأنك ستنعدم في نهاية المطاف بموت جسمك.

هذه الحجّة لبدء سلوك الطريق، وليست حجّة لإثبات وجود وحقيقة الأمر الميتافيزيقي. خلافاً من لمن توهم أن حجّة "إن كان الله موجوداً فقد فزنا، وإن كان الإله غير موجود فلن نخسر شيئاً باعتقادنا بوجوده"، خلافاً لمن توهم أن هذه حجّة لإثبات وجود الإله، وليست كذلك، بل هي حجّة للسعي لمعرفة الإله وبذل الجهد الكامل وإعطاء الأمر أولوية في الحياة، ثم بعد السلوك والبحث يتبيّن وجوده أو عدم وجوده، وبقية قضايا الحياة الآخرة ووجود الروح والنفس الخالدة.

ثم الذين قالوا "على أي إله سنراهن؟" بمعنى أن المراهنة على وجود إله لا تنفع إلا إن كان الإله الذي سنراهن على وجوده هو الإله الحق، فإن الأديان تختلف في تعيين هذا الإله وصفاته وكيفية النجاة في مملكته الأبدية بعد الموت. نقول: الأديان وإن اختلفت في تعيين الإله فإنها كلها مثبتة للألوهية، مثبتة للأبدية، مثبتة لأمر ما فوق الطبيعة، فقد اشتركت كلها في هذا والملاحدة اتفقوا على إنكار هذا من أصله. هذا أمر. والأمر الآخر، هو أن المراهنة هنا لا تعني المراهنة على تعيين إله ولا حتى معرفته، على الأقلّ لا ينبغي أن تكون كذلك، بل هي المراهنة على طريق البحث عن المعارف الإلهية، بدلاً من المراهنة على الحياة المادية والسعي في اكتساب الماديات والممتلكات والشهوات والتي نهايتها معلومة مسبقاً وحتمية ويقينية. فالمراهنة على الحياة الآخرة خير من المراهنة على الحياة الدنيا، خير عقلاً. بعد ذلك، تأتي خطوة البحث والسعي، بالخلوة والتأمل والذكر والفكر والكتابة والقراءة والدعاء والمجالس، والنظر في تعاليم الأمم عن هذا الأمر وكيفية تحصيله والتحقق منه. طريق العرفان أولى عقلاً من طريق الأبدان.

...

الذي يعبد الله وإن كانت دنياه فاسدة فهو خير ممن لا يعبد الله وإن كانت دنياه صالحة. مثلهما كمثل فريقين، فريق لديه سيارة رخيصة مهترئة عفنة وفيها أشخاص كثر يجلسون بنحو غير مرتب ومشوش ويضايق بعضهم بعضهم أثناء الرحلة، وفريق لديه سيارة فخمة باهرة نظيفة عطرة وكل واحد يجلس في كرسيه ويحترم نفسه وغيره، ولدى كل فريق ٥ ساعات من

الوقود للسير، وكلاهما في صحراء، ولابد من اختيار اتجاه إما للشمال وإما للجنوب، للوصول إلى الماء للحياة، وكان الماء في الجنوب، فاختار أصحاب السيارة المهترئة طريق الجنوب واختار أصحاب السيارة الفخمة طريق الشمال، وسار أصحاب السيارة الفخمة بكل أريحية ونظافة ورزانة في طريق نهايته الموت، بينما الفرق الآخر وإن تعذّب أثناء الرحلة فإنه في نهاية المطاف سينزل ويترك السيارة ويغتسل في نهر الماء العذب ويحيا وحده وينفصل عن المشاغبين الذين معه، بينما الفريق الآخر سيصل إلى لاشيء ثم يحترق تحت أشعة الشمس فيذهب بهاؤه ولا تنفعه سيارته ويأكل هو ومن معه بعضهم بعضاً. كذلك الأمر هنا. عبادة الله لا يُقدَّم عليها أي غرض ولا مقصد، ومهما كان الإنسان في الدنيا خيّراً فاضلاً مع الناس وفي بدنه ومجتمعه، فإنه إن كان لا يعبد الله فهذا كله سيؤول إلى هباء منثور. بينما الإنسان الذي يعبد الله مهما كان حاله في الدنيا، ما لم يعتدي على غيره بيده على أبدانهم وعلى أملاكهم وبلسانه في أعراضهم ظلماً، فإنه ليس عليه من باب العدل المطلق معاشرة الناس ولا التودد إليهم ولا أي شيء من هذا القبيل، بل حسبه إن شاء أن يعيش في مجتمع ويمشي على القوانين ويدفع الضرائب المشروعة برأي المجتمع ثم يعتزل الخلق ويتعبّد ولا يبالي بأحد. الذي ينظر للأمور من منظار الآخرة سيحكم غير حكم مَن ينظر لها من منظار الدنيا. ومن منظار الآخرة، لا يوجد شيء أولى من توحيد الله وعبادته.

...

(من سورة النور)

بسم الله الرحمن الرحيم

١-{سورة} السورة نظام آيات متحدة مرتّبة يتناسق بعضها مع بعض. فهي آيات كثيرة لكن بينها وحدة جوهرية وكثرة منظمة موضوعية.

{أنزلناها} من التجريد إلى التجسيد، حتى ترتفعوا بها عقلاً من التجسيد إلى التجريد.

{وفرضناها} الإنزال للعلم، والفرض للحكم "من بعد الفريضة".

{وأنزلنا فيها} فالسورة روح مجرّدة، وفي ذات هذه الروح توجد الآيات الكثيرة، فالسورة حقيقة الروح، بينما الآيات في السورة وليست السورة مجرّد مجموع آياتها. بل الروح ذات العقل والإرادة هي السورة، لذلك كل سورة كائن حقيقي مستقل عن غيره من وجه وإن اتحدت السور في الروح الكلية الأصلية التي تتفرع عنها، "نفخت فيه من روحي" فالمنفوخ روح والنافخ روح والروح واحد وإن نفخ أرواحاً كثيرة إلا أن بينها جميعاً رابط جوهري.

{ءايات بينات} الآية مَثل، والبينة لأنها عربية بلسانكم ومفصّلة لعقولكم. فالسورة ليست الآيات لكن الآيات في السورة. بالتالي السورة جوهر روحي، والآيات أعراضها.

{لعلكم تذكّرون} المقصد. قد يقع وقد لا يقع بحسب اختيار الناس ومشيئتهم "من شاء فليؤمن". والتذكّر وعي حادث بمعلوم سابق كامن في النفس الإنسانية ذات الروح الكامنة فيها، فالروح القرءآني جاء لإيقاظ الروح الإنسان وتفعيله وإخراجه من مكمنه في الفطرة المؤودة عند أكثر الناس.

٢-{الزانية والزاني} الناس ثلاثة. مؤمن موحد خالص التوحيد، ومشرك خالص الشرك، وأهل الزنا وهم الذين جمعوا بين التوحيد والشرك وخلطوا بينهما كالذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس. الزانية طالب تعلّم الكلام المخلوط أي الذي يخلط بين التوحيد والشرك. الزاني مُعلّم الكلام المخلوط. قدّم الزانية أي النفس المتعلّمة على الزاني أي العقل المُعلِّم، لأنه الأضعف والأولى بالرعاية والأقلّ جرماً وظلماً لأنه يطلب العلم وإن أخطأ مصدره بينما معلّم التوحيد الشركي أعظم جرماً، وكذلك لأن جذب المتعلّمين أولى من جذب المعلّمين الراسخين في الكفر.

{فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة} الجلد الظاهر "يصهر به ما في بطونهم والجلود"، فالجلد إظهار الشيء. وهنا المقصود إظهار الشركيات في أقوال الفرق الأربعة الضالة التي خلطت التوحيد بالشرك، وهم عادةً من أهل الكتب. وقوله {مائة} يشير إلى تمام الشيء فإن المائة عشرة في عشرة وهي "عشرة كاملة" بمعنى إظهار الأمر بأكمل صورة ممكنة جملةً وتفصيلاً، وذلك بأن نأخذ كتبهم التي فيها تلك الشركيات ونبيّن كل ما فيها من تلك الشركيات وننصّ عليها ونُظهرها للمتعلّمين منهم والمعلّمين. هذه طريقة. طريقة أخرى، أن نختار مائة نصّ ونبيّنه لهم ونجادلهم به. طريقة ثالثة، أن نخصص مائة ساعة أو مائة يوم ولو كانت متفرقة لكن نبلغ العدد مائة حتى تتأكد في نفوس الناس، ونبيّن ذلك فيها.

{ولا تأخذكما بهما رأفة في دين الله} لأن دين الله التوحيد، ولا رأفة فيمن ينقض التوحيد الخالص، ولا نراعي شعوراً ولا مصلحةً ولا إيذاء نفوسهم بفضح شركهم وجهلهم. وكذلك لأن الشرك الجزئي يؤدي على أقلّ تقدير إلى وقوف المشرك الجزئي يوم الحساب موقف ينتظر فيه شفاعة أمثال المسيح "وإن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم" ولا يدري هل تُقبَل الشفاعة فيه أم لا وفي هذا من القسوة والشدة عليهم ما فيها فمن الأرأف بهم اليوم أن لا تأخذنا بهما رأفة، أرأف بهما وأرأف بمن يضلّ بكلامهما المخلوط والمُكدِّر للتوحيد الخالص.

{إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر} فالذي يؤمن بالله لا يرضى أن يسمع كلاماً عن الله يكدّر توحيده إلا ويردّ عليه ويجادل صاحبه ويبيّن ضلاله. والذي يؤمن باليوم الآخر وما فيه من حساب شديد وعذاب أليم للمشركين، ويؤمن بأنه في اليوم الآخر سيظهر التوحيد الخالص

وحقيقته للجميع، فإنه سيفعل ما أمره الله به هنا. (تنبيه: فجلد الزانية والزاني ليس من أجل حفظ كيفية نقل أموال الدنيا بين الناس، ولا من أجل حفظ الأبدان من الأمراض، وبقية ما يقوله العاكفين على الظاهر، فانظر في تعليل الله لأحكامه لعلك تعقل عنه مقاصده جل وعلا، وتعلم أن الأمر أكبر من هراء الدنيا وهباء المادة).

{وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين} فالعلماء يجلدون، والطائفة المتفقهة التي في قلوبها نور الإيمان تشهد حتى تنتفع وتتعلّم كيفية الجلد من العلماء الراسخين. وكذلك حتى يصححوا العلماء إن زلّوا أو ضاع منهم شيء. وكذلك الأولى اختيار الطائفة التي جمعت الزنا وأدركته وبلغته العلماء، حتى لا يقع في قلوبها من تلك الشبهات الشركية التي أدركتها. (تنبيه: لو كان جلد الزناة لإرهاب الناس من الوقوع في الزنا البدني الجنسي، لوجب إشهاد العامّة خصوصاً من الفاسقين والمجرمين حتى يرتدعوا، بدلاً من إشهاد المؤمنين وليس فقط المسلمين بل المؤمنين الذين دخل في قلوبهم الإيمان وهو أبعد الناس عن الفواحش إن كان المقصود بها ظاهرها فقط. فليتأمل عبيد المظاهر كم يضيعون من حكمة القرءان وإحكام آياته.)

٣-{الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحُرِّم ذلك على المؤمنين}

هذه الآية خبر، والخبر من الصادق لابد من أن يصدق. والزاني والمشرك بالمعنى الظاهري المادي لا يؤمن أصلاً بالقرءان حتى يأخذ بأوامر القرءان بأنه عليه أن لا ينكح إلا كذا وكذا. والقسمة عقلياً غير حتمية كما تبيّن الآية إن كان المقصود ظاهرها كما يفهم الغافلون، لأن الزنا عندهم زواج بغير عقد شرعي، وقد عرفوا أن العقد يجوز على الزانية والزاني بل وعقود المشركين صالحة في المجتمع من باب أحكام الظاهر وإلا وجب اعتبار كل مشرك يتزوج مجرماً بالزنا الجنسي ومعاقبته وهذا لا يستطيع أن يقول به أحد في مجتمع مستقر لا يريد تحارب أهله فيه يومياً، وحتى المشرك الكافر من أهل الكتاب يُقرّ على نكاحه ولو قال بتعدد الآلهة كالمجوس أو بالولد لله والله جل وعلا فقير ونحو ذلك من الشركيات والكفريات. فكيف يكون {الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة} والواقع أن الزاني قد ينكح من لم تزني في حياتها ولم تشرك بالله بل هي موحدة من أهل الكتاب مثلاً من الموحدين الذين لا يمتاز توحيدهم عن توحيد المسلمين في شيء وهم كثر. فتنبّه.

هذه الآية نظير "إن الذين ءامنوا، والذين هادوا والصابئون والنصارى والمجوس، والذين أشركوا} التي قسّمت الناس إلى موحّد ومخلّط ومشرك. فهذه الآية قسمت الناس إلى مؤمن وزاني ومشرك. وموضوعها الزناة تحديداً كسابقتها. فهي إذن عن {الذين هادوا والصابئون

والنصارى والمجوس} فهؤلاء زناة التوحيد. لماذا؟ لأن الأصل أن النفس لله تعالى "إنا لله" و " يأيها النفس المطئمنة. ارجعي إلى ربّك"، و "نسوا الله فأنساهم أنفسهم". فالنفس روحها وأصلها ومرجعها هو الله، وهو في الأمثال كالزوج لها. فالنفس التي تخلط التوحيد بالشرك تكون زانية، ومَن علّمها الخلط زاني. والآن اقرأ.

{الزاني} يعني مُعلّم الشرك في التوحيد مع عدم نقض التوحيد كالمشرك الخالص. {لا ينكح} النكاح علاقة تعليم وإفادة كلام واستفادة كلام. {إلا زانية أو مشركة} لأنه يُعلّم الشرك، بالتالي لا يمكن أن يستفيد منه ويأخذ عنه ويقبل منه كلمته الشركية إلا مَن كان فيه أيضاً شركاً جزئياً أو كلياً.

{والزانية} متعلّم الشرك ممن له أصل توحيدي، كمن آمن بأن الله واحد لكن اعتقد بأن له ولد. {لا ينكحها} لا يدعوها للانضمام إليها والدخول في سلك طلابها وتلامذتها وأعضاء دعوتها وجماعتها، {إلا زان أو مشرك} يعني من حيث هي زانية لا يطلبها إلا من يعتبر الزنا فيها أمراً محموداً وهو الزاني أو من يعتبر شركها الجزئي رابطة مشتركة بينها وبينه ممن شركه كلّي.

{وحُرِّم ذلك على المؤمنين} أي نكاح أهل الزنا والشرك، حُرّم كتحريم الرضاع على موسى " حرّمنا عليه المراضع"، تحريم تكويني منطقي. لأن المؤمن موحد خالص، فلا يمكن أن يقبل عهد وبيعة طالب علم ولا أن يُعطي عهده وبيعته لمفيض كلام إلا إن كان أيضاً من الموحدين، لأن بغيته التوحيد الخالص، فقلبه يرفض فطرياً ما سوى التوحيد الخالص. فالجمع بين التوحيد الخالص والشرك الجزئي أو الشرك الكلّي مستحيل عقلاً وواقعاً لأنه من باب التناقض و"النقيضان لا يجتمعان". فهو تحريم لا يُحَلّ، وقيد لا ينكسر، لأنه وجودي تكويني حقيقي، وليس تحريماً اعتبارياً أمرياً حتى يمكن عصيانه كما هو الحال في تصرفات الأجسام فإن المؤمن بالمعنى الظاهري قد ينكح أزنى أهل الأرض وهو يدري أو لا يدري أو قد ينكح أعرق الناس في الشرك قلباً وضميراً وهو يدري أو لا يدري.

...

سبب تعدد الآراء في أعمال الصلاة، هو حتى يكون للمسلم رخصة في أن يختار رأياً فيصلّي بحسبه لفترة، ثم إذا وجد نفسه اعتاد الصلاة وصار يؤديها برسم العادة وبصورة ميكانيكية فيغيّر أعمالها بحسب مذهب آخر حتى يكسر العادة ويكون يقظاً في الصلاة وتفاصيلها. وبذلك ينال أيضاً الأنوار المختلفة التي لكل مذهب والسرّ الذي في كل صورة.

...

ما بين الثقة بإجابة الله لدعائك وبين التعامل معه جل جلاله كأنه آلة تنفعل لإرادتك تلقائياً، ما بين هذا وذاك كما بين الحياة والموت، والسماء والأرض، والإيمان وتخوم الكفر.

...

رفع اليدين في الصلاة عند التكبيرات، هي حركة جناح النفس في طيرانها في السماء.

...

الخلوة نعمة، صحبة الطلاب رحمة، المعاش حرية وكرامة وشعيرة وتذكرة.

...

للدين تعريفات مختلفة عند مختلف المتدينين. فهو عند العوام كبوليصة تأمين ضد المصائب ومخدّر نفساني مجاني. وهو عند الأثرياء ومن اعتادوا حياة البذخ واللهو، مجرّد وسيلة تسلية مثيرة يقضون فيها بعض أوقات فراغهم بدون أن يغيّر شيئاً حقيقياً في أمورهم وأفكارهم. وهو عند الساسة في بلاد الطغيان مجرّد وسيلة لإبعاد الناس عن المطالبة بفرض ضرائب أو الثورة عليهم لنهبهم البلاد أو لتحميسهم لقتل أعدائهم-أعداء الساسة لا أعداء الأمّة حقاً. كل هذه أديان زائفة.

الدين الحق علاماته في أضداد ما سبق. هو حين تقبل المخاطرة من أجل الدين وأنت في أمن وسلام بدون الدين فتختار المخاطرة لدينك، وحين تتأذّى نفسيتك بسبب إيمانك ولو كفرت لما شعرت بتأنيب ضمير ولا حرقة عقلية لبيان شيء أو عمله، وحين تنفق في أعمال دينك كل أو أحسن أوقات يومك وعمرك وتجعل ما سوى ذلك من الأشغال الدنيوية مجرّد وسائل لكي تزيد من وقت الاشتغال بالأعمال الدينية بحصر المعنى كالصلاة والدراسة والدعوة، وحين يكون دينك سبب تحرير الناس سياسياً وتقييد سلطتك وإن كنت بدون الدين أو بسوء استغلاله تقدر على بسط سلطتك، وحين يكون دينك سبب فرض ضرائب على الأغنياء لإعطاء الفقراء بأصنافهم، وحين يكون دينك سبباً لجعلك خادماً للأمّة. هذه علامات الدين الحق والتديّن الصادق. وما سواه فهباء منثور.

...

الناس ثلاثة: رسول وخادم رسول والباقي حطب جهنّم.

...

حين تنظر إلى الأمور من وجهة النظر الدنيوية ستراها بنحو يختلف عنه إن نظرت فيها من وجهة النظر الأبدية.

الحق والأنفع أن تنظر أولاً من حيث العدم، فأنت كنت عدماً قبل ولادتك هنا وستصير حسب الظاهر عدماً عند موتك بمعنى أنك ستموت وتنعدم من هذه الحياة الطبيعية. بالتالي

العقل يقضي بأن تنظر على نفسك كقطرة وجود محاطة ببحرين من العدم من قبل ومن بعد، فأنت برزخ وجودي مؤقت ما بين بحرين من العدم. هذه وجهة النظر العقلانية الدنيوية.

إن رسخت في النظرة العقلانية الدنيوية، يمكن أن تترقى وتنفتح على النظرة الأبدية، وهي أن تنظر إلى نفسك كموجود في علم الله من قبل ثم موجود نفسي إلى الأبد في الآخرة، فأنت الآن وجود نفسي يسبقه وجود عيني في العلم الإلهي ووجود أخروي في العالَم الأبدي.

أقلّ العقل أن ترى نفسك برزخ وجودي مؤقت بين بحرين من العدم، وإن فعلت فستترقى وتحيا حياة أطيب من حياة من لا يرى ذلك من أهل الدنيا. ثم بعد ذلك يمكن أن تؤسس لنفسك ولوجودك الباطني الأزلي الأبدي. والوجود الأبدي مؤسس على الاعتقاد العدمي، لأن الاعتقاد العدمي يكشف حقيقة وضعك في الطبيعة وهذا القدر حق. وهذا مثل "لا إله إلا الله"، فإن "لا إله" إعدام كل إله في الكون وهذا حق، فالإلحاد باب الإيمان وعتبة بيت التوحيد. فإذا نفى الإنسان الألوهية عن كل موجود طبيعي، حينها يكون قد تفرغ قلبه لاستقبال نور "إلا الله". وإن لم يفعل أي إن لم يستقبل نور "إلا الله"، فلديه على الأقلّ نصف النور وهو النور الأسود لـ"لا إله" بالنسبة للموجودات الطبيعية. فالملحد يرى بالنور الأسود، والمؤمن يرى بالنور الأسود والأبيض. فالملحد خير من المشرك، فإن المشرك لا نور له لا أسود ولا أبيض. لذلك أوّل ما يجب نشره هو الإلحاد، لأن سفر "لا إله إلا الله" يمرّ بمرحلة "لا إله" وهي خلاصة الإلحاد. هذا بالنسبة لعامّة الناس. أمّا خاصة الناس، فإن كلمتهم هي "الله لا إله إلا هو"، فيبدأوا من " الله"، يبدأون من الوجود الحق. ثم حين يعرفونه ينزلون بهذه المعرفة إلى الكون فيرون الموجودات فيقولون "لا إله" ويتذكرون "إلا هو".

إذن لدينا سَفَر "لا إله إلا الله"، ولدينا سفر "الله لا إله إلا هو". الأول سفر من الخلق إلى الحق، والثاني سفر من الحق إلى الخلق بالحق. وفي السفرين، لابد من المرور على جهنّم النفي "لا إله" كما قال "إن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضيا"، فلابد من مرور العقل ولو للحظة على معنى "لا إله"، إلا أن من كان قصده معرفة الحق فإنه مهاجر في سبيل الله بالتالي حتى إن اخترمته المنية قبل بلوغ نور "إلا الله" و "إلا هو"، "فقد وقع أجره على الله". الملحد على خير ما دام يريد الحق ويسعى له بلا توقف وبقي القصد حياً في قلبه. كذلك الكافر بالآخرة الأبدية على خير إن بنى أمره على عدمية وجوده الطبيعي. الهلاك كل الهلاك على المشرك في باب الإلهيات الذي يعبد "من دون الله" أحداً، والمُخَلِّد في باب الأخرويات الذي يقول "ما أظن أن تبيد هذه أبداً". من آمن بعدميته والمساواة في المحدودية بينه وبين الكائنات الطبيعية حوله، فقد أقام قاعدة الإيمان في قلبه وحياته. ثم يبقى البناء بالحق، والبناء على البنّاء سبحانه "والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون".

...
صاحب النفس، خلافاً لصاحب البدن، يقوم بالثلاثة دوائر: فيتفرغ للعقل، ويتعبّد بالشرع، ويتجلى بالرمز.

...
من حسن توفيق الله لك أن يمدّك بامرأة تُعامِلك كما تُعامل أنت ربّك حتى يذكّرك من جهة ويفتح لك باب التوبة والمغفرة حين تغفر لها من جهة أخرى. قد تخاف من الهجرة لله مثلاً بسبب الصعوبة المعيشية والتردد، فيرزقك الله امرأة تكره الهجرة معك أيضاً بسبب الصعوبة والتردد، فيُظهر لك الله بها ما كمن في نفسك أو على الأقلّ ما كنت تواجه به ربك من قبل. كذلك قد تكثر من العصيان والتوبة في أمر ما، تعاهد الله على عدم العودة ثم تستسلم للغفلة أو الشهوة، ثم تعاهده وتنقض وتعاهده وتنقض، فيمدك بامرأة تفعل نفس الشيء معك في أمر ما، فيجب عليك تكليفاً وشكراً أن تغفر لها إن كنت تحب أن يغفر الله لك وتعفو عنها مراراً وتكراراً وتصفح الصفح الجميل وكما صفح الله عنك.

...
يزعم الاسماعيلية أن ما وصف الله به نفسه في القرءان إنما ينطبق على مخلوقاته كالإمام، ويقومون بذلك بحجّة التنزيه وتجريد الله عن مشابهة خلقه. ولو صدقوا، لما وصفوا الله بالخالق والبارئ وبأي صفة، بل ولا حتى باسم "الله" لأن حروف الألف واللام الهاء أيضاً تشبه حروف وصف المخلوقات، وكذلك قول الله عن نفسه "الأعلى" لا ينبغي على الاسماعيلي استعمالها لأن الله وصف موسى بأنه "الأعلى". وهلمّ جراً. وهو أمر يستحيل عليهم الثبات عليه، وكتبهم مليئة بوصف الله وحمده وتقديسه وهي كلها أوصاف في الخلق أيضاً فالتقديس مثل "الواد المقدّس" و "روح القدس". هذه أول معضلة.

وأخرى، القول بالمحال العقلي، فإنهم يزعمون بأن العقل لا يعرف الله، ولو كان لا يعرفه فكيف حكموا بأنه لا يُعرَف والحكم بعدم معرفة الشيء هو حكم مؤسس على معرفته ولو من جهة ما فلابد من شيء حتى يُحكَم عليه ولابد أن في عقولهم شيئاً عرفوه ثم جادلوا بأنه لا يمكن أن يوصف بكذا بل هو كذا.

ومعضلة ثالثة، نسف العقل في معرفته الوجود الحق وسماته، وإنكار ذلك مكابرة واضحة.

ومعضلة رابعة ولعلها أكبر الكبائر العرفانية، جهلهم بالعلاقة بين الواحد المتعالي وتجلياته المختلفة، فهم كفروا بكل التجليات الإلهية لصالح تجلي واحد منها وهو الإمام عندهم أو العقل الأول أو النبي أو ما كان، فشابهوا النصارى من هذا الوجه الذين قالوا "إن الله هو المسيح"، فحدّوا الله في المسيح، وأنكروه فيما وراء ذلك وفي ما يتعالى على ذلك، وهؤلاء قالوا في

المحصلة الله هو الإمام أو الله هو العقل الأول أو نحو ذلك ويسمونه باسم التأويل والحق أنه تنزيل بل تسفيل، "فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح" وكذلك القول في الإمام والعقل الأول والنبي "قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم".

الكتب الإسماعيلية ثروة وكنز عظيم، لكن مع ذلك لابد من الحذر أثناء دراستها والانتفاع بها، فإن الأغراض السياسية لهم قد فرضت نوعاً من الخطابة والتحريف في بعض الأمور. ومن الإسراف والجهل العظيم إخراج الإسماعيلية من دائرة الإسلام، والحق أنهم من خيار المسلمين من حيث علومهم وترتيب شؤونهم، ولولا إنكارهم الحرية في السياسة لصالح السلطة المطلقة للإمام لكانت لثروتهم المعرفية شأن آخر في تطوّر الأمّة، وكذلك لولا تحجيرهم الشديد على أتباعهم في باب المعرفة الدينية والمباشرة الذوقية. فهم عائق كبير من هذين الوجهين، السياسة والمعرفة. ففي السياسة هم أصحاب شمولية ما بعدها شمولية، وفي المعرفة هم مقلّدة ما بعدهم مقلّدة، أو هكذا يُلقون على العامّة من أتباعهم فضلاً عن غيرهم، إلا أنه ما وراء هذين البابين توجد لديهم تأويلات عميقة وموازنات صحيحة وأجوبة متينة على إشكالات معرفية عويصة. ولا أرى لوم الإسماعيلية على تأسيس أمرهم مع أتباعهم على الشمولية والتقليد، فإن هذا مرض بل طاعون فتك بالأمّة من أولها إلى آخرها إلا ما شذّ وندر. قراءة كتب الإسماعيلية خير عندي من قراءة كتب أكثر فرق الأمّة، إلا أن الصدارة تبقى لعرفاء الصوفية.

...

قال ما حاصله: ما فائدة كلامك هذا كله إذا كنت لا تستطيع إصلاح العالَم ولا تملك القوة العسكرية لتغيير الأوضاع، فلماذا تتكلّم وتعرّض نفسك للخطر من أجل لا شيء وأنت تعلم أن القرءان يبيّن تكذيب الناس للرسل فهل ستكون أنت أفضل من رسل الله.

قلت: لو كنت أتكلّم بقصد تغيير الناس لكان لكلامك وجه ووجه ضعيف. لكن أنا أتكلّم من أجل الله ولإقامة حجّة الله على الناس ولتبيين العلم وتجنباً للّعن الذي يستحقه كاتم البينات وعملاً بأمر الله لي بالتعليم وأمر رسوله لي بكشف حقيقته الغيبية للناس. أنا أتكلّم لله وللرسول ولنفسي، وأما الناس فلا أبالي صدّقني وانتفع بكلامي واحد أو ولا واحد أو كل مَن على الأرض، فهذا لن يغيّر ذرّة من أصل كلامي.

وأما عن القرءان والواقع أيضاً، فهو أنه يوجد مَن ينتفع بالرسالة وبالكلام، وأنا أعرف الكثير شخصياً ممن ينتفع بكلامي، لكن حتى لو افترضت أنه لا يوجد ولا واحد فهذا لا يؤثر، لكن فقط من باب بيان الواقع الذي أخطأت أنت في وصفه وكذلك القرءآن يبيّن اهتداء البعض ولو كان قليلاً ببيان الرسل والدعاة. واحد من المؤمنين أفضل من ملئ الأرض من الكافرين

والضالين والجاهلين والغافلين، ومن أجل هذا الواحد يكفي-إن كنّا سننظر إلى أثر عملنا بدلاً من أصل عملنا-لتبرير عملنا كله.

وأما عن تغيير الأوضاع الاجتماعية والسياسية، فهذه أيضاً لم تتغيّر ولم يحصل على القوة لتغييرها أناس يقولون بما تقول به أنت من سلبية، بل غيّرها أناس يعملون بما أعمله أنا الآن. تدريجياً، ولو في الخفاء. فسواء وصلت أو لم أصل، فإني أسير على الطريق الصحيح الذي سار عليه الذين تراهم اليوم ممن صاروا يملكون القدرة على تغيير الأوضاع الاجتماعية والسياسية. السير على الطريق الصحيح واجبنا، وأما بلوغ الغاية فعلى الله تعالى.

وأما عن تعريض نفسي للخطر، فكل من على الأرض يعرض نفسه للخطر يومياً ومن أجل معاش بدنه أو رفاهيته أو حتى من أجل تفاهات وألعاب عبثية طفولية كالذين يلقون بأنفسهم من الطائرات للتسلية وحتى ركوب السيارة فيه مخاطرة حدوث حادثة تجعلك أنت ومقعدك شيئاً واحداً لا يستطيع حتى الخبراء فصل جسمك عنها، فالعيش كله خطر ولا مفر من ذلك، فلأن أعرّض نفسي للخطر من أجل مبدأ عالي وعاقبة أبدية ورضا ربي خير من أن أعرّض نفسي للخطر من أجل لا شيء والقبر والعدم. هذا أمر. أمر آخر، أنا لا أعرّض نفسي للخطر بدون عقل ومقصد، ولذلك هاجرت واستخرت وبحثت بأقصى ما بلغه جهدي ونظري بعون الله واخترت أكثر دولة في الأرض لديها حرية تعبير ودين، وليس في وسعي أكثر من هذا فإن نجحت فبفضل الله وإن فشلت فحسبي أني استفرغت جهدي واخترت بعد تداول طويل واستعملت عقلي وليس مجرد عاطفتي. أمر ثالث، الخطر الذي تشير إليه هو أن أتعرّض للاغتيال بسبب كلامي على يد الملوك والشيوخ الذين أعارضهم، وأنت تخوّفني بنيل شرف الشهادة وأنا أرى أني أقلّ من أن أستحق هذا الشرف، فأنت كمن يخوّف شحاذاً من الجلوس على عرش المملكة ! فانظر ماذا تقول.

وأما عن إصلاح العالم، فأوّلاً صلاح العالَم في الحقيقة هو بذكر الله فيه ونشر العلم وأنا أقوم بالأمرين بقدر ما أوتيته وهذا طريق الإصلاح. ثانياً ليس من العقل أن نعارض بعض الخير بزعم أننا لا نستطيع نيل الخير المطلق ثم بعد ذلك نرضى بالجلوس في قعر الشر، أنتم تريدون أن نبقى في الشرّ لأنكم تحكمون على أعمالنا بأنها خير جزئي لا يمكن أن يكون خيراً مطلقاً كلياً شمولياً متعالياً، وهذا خطأ كبير لا يقوم به أحد ولا أنتم، فأنتم تأكلون الطعام وطعامكم ليس أفضل طعام في الأرض ولا أفضل طعام في الإمكان ومع ذلك تتحرّون أحسن طعام يمكن أن تنالونه ولا ترضون بالأكل من المزابل بحجّة أن الأكل من المطاعم العادية المتوسطة لا يبلغ الطعام المطلق لأصحاب الفردوس الأعلى، فليس من العقل ولا من الواقع ولا من الشرع أن نعارض الخير الجزئي بالخير المطلق لتبرير البقاء في الشرّ والخمول والكسل

والسوداوية والاستعجال بالسيئة قبل الحسنة. ثالثاً، إن كنت تقصد بالعالَم جميع الناس فهذا مفروغ من استحالته لكن حتى الطبيب يشتغل بالطب بالرغم من أنه لا يستطيع معالجة جميع الناس وقطعاً لا يستطيع منع وجود المرض في العالَم ومع ذلك لا يمنعه ذلك من معالجة من يأتيه ويطلب الدواء منه وكذلك المهندس لا يمتنع عن بناء بعض البيوت النسبية الجودة فقط لأنه لا يستطيع بناء بيوت لكل الناس وتخليص جميع مَن على الأرض من مصيبة العيش بلا سقف يظلّه وجدران تحميه، فكذلك طبيب الأرواح ومهندس العقول وهم أهل القرءان والحكمة الإلهية لا ينبغي أن يمنعهم مثل ذلك عن القيام بعملهم وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي " لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس" فإن كنتم تضحون بالغالي والرخيص من أجل نيل جزء من جزء من ألف ألف جزء بل دون ذلك مما طلعت عليه الشمس وتضحون من أجل كسبه بالوقت والجهد وأحياناً بالصحة والعافية والغربة كما يفعل أبناء الدنيا، فلأن يكون أبناء الآخرة على هذه الشاكلة أولى وهم على الأقلّ سواء في التضحية، والحمد لله هدى الله بي أكثر من رجل، وإن كان النبي قد قال "بلغوا عني ولو آية" فتبليغ آية كافي لصيرورتك رسولاً لرسول الله فقد بلغت ولا زلت بحمد الله أبلغ آلاف الآيات، وإن كان النبي قد قال "نضر الله امرئ سمع مقالتي فوعاها فبلغها كما وعاها" أو كما قال عليه الصلاة والسلام فهذا أيضاً حصل ولا يزال يحصل بحمد الله من الله بي، فهذه وسائل الإصلاح وأنا أعمل بها في نفسي ومع مَن حولي ممن معي ولمن عرفت ولمن لم أعرف ومجاناً وأعطيهم كتبي حتى بدون كتابة اسمي عليها حتى يشعروا بأنها كتبهم هم ولا يتحمّلون عبء اسمي عليها ولا أطلب منهم لا جزاءً ولا شكوراً، فأرني ممن تعظمونهم من أطباء الأجسام ومهندسي التراب ونحوهم ممن يقوم ويقدّم خدماته للناس بهذا النحو ومجاناً، فإن كنتم تعظمون هؤلاء مع كل القيود التي يعملون بها ولا ترونهم يضيعون وقتهم بمحاولة "إصلاح العالم" فلأن تقوموا بمثل ذلك مع أمثالنا أولى وإن كنّا لا نطلب تعظيماً ولا شيئاً وحسبنا أن ننبهكم على سوء الاعتراض على عملنا وشؤم سبّنا والسخرية منّا عند الله وليس عندنا نحن فإننا لا نبالي بذلك وسنكمل بإذن الله طريقنا. الطبيب الجسماني يعالج جسماً سيموت ونحن نعالج نفوساً خالدة باقية إلى الأبد، المهندس المادي يبني في عالَم الفناء ونحن نبني في عالَم البقاء، المحامي يدافع عندك عند قضاة أقصى ما لديهم قتل جسمك ونحن ندافع عنك ونعلمك حجج الدفاع عن نفسك بل نعلمك اللجوء إلى وكيل متعالي يدافع عنك دنيا وآخرة في يوم قضاء أقلّ ما في حسابه أسوأ من أقصى ما يمكن أن يصيبك في الدنيا أضعافاً مضاعفة، أنتم تعظمون رؤساء دول أرضية يديرون حفرة بل ذرة بل دون ذلك حتى في معايير الكون الطبيعي المنظور ونحن ندلّ الناس على الملك المتعالي الذي يحكم العوالم كلها ظاهرها

وباطنها ونحن دعاته وسفراء أمره، أنتم تحترمون الأثرياء الذين يملكون شيء من المال ومن باب أولى أن تحترموا العلماء الذين يملكون مال الله الأبدي وثروة القلب وغنى النفس وكنوز العرش ومفاتيح أبواب الجنّة الخالدة، أنتم يعجبكم مشاهير الفن الذين أقصى ما يبلغونه أن يكونوا نجوماً في عالَم الوهم ولو أنصفتم وعلمتم لكان أهل القرءان أولى بذلك لأنهم نجوم أهل السماء وبيوتهم تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض وجعل الله لهم الشفاعة والشهرة الحقيقية يوم الدين. وعلى هذا القياس ستجدون أنكم تعارضون الدعاة بحجّة عدم استطاعتهم "إصلاح العالم" لكن الواقع أنكم لا تعارضون بميزان معتدل ولا قسطاس مستقيم ولا إنصاف.

ثم أهمّ أمر، أنت تتحدّث معي وكأن كلامي غير موجّه لك ودعوتي غير معروضة عليك، أنت تتحدّث كأنك خارج العالم ومن يجب عليه قبول الدعوة والعمل على إصلاح نفسه، ونصّبت نفسك قاضياً بدلاً من أن تكون طالباً. فأردت أن تشعر بالاستعلاء عليّ عبر الحكم والتوجيه، وكأنك تريد "إصلاح العالم" بالكلام ! تريد إصلاحي بالكلام وتعارض إصلاحي أنا بالكلام ! نفس دعوتك لي تنقض دعوتك وتثبت دعوتي. ودعوة تنقض ذاتها بذاتها وتثبت بذاتها حجّة خصمها لهي دعوة واهية بل أوهى الدعوات. وقد أنطقك الله بالحق وأنت تعارضني، لعلك تستيقظ وتعرف حقيقة أمري وتسلك في طريقي.

...

الموسيقى المجردة، أي صوت النغمة بدون كلام بشر، هذا الصوت هو الذي يجعل الأرض كالسماء، والبيوت كالكواكب، والمجالس الأرضية كمجامع أهل السماء. فاختاروا أحسن الأصوات، فإن من الأصوات ما يجعلكم كالجنة أو كالنار.

...

(جحويات)

تنزيل: {أوصاه أطفال الحارة وهو ذاهب إلى السوق أن يبتاع لهم صفّارات، فهزّ رأسه ووعدهم. وتقدّم واحد منهم وقال له "احضر لي واحدةً وهذا ثمنها"، فتناول منه الدراهم وذهب. وانتظروا مساءً في الطريق إلى أن حضر فاحتاطوا به وكل منهم يقول "أين ما أوصيتك به؟". فالتفت الشيخ إلى الذي أعطاه الثمن وناوله الصفارة وقال "الذي أعطى الدراهم تصفّر صفارته".}

تأويل: الصفّارة ما تنفخ فيها فتصدر صوتاً، والنفخ رمز نفخ الروح. فالصفّارة هي القرءان، لأنه الذي بنفخ الروح العقلي فيه عبر قراءته يصدر منه كلام الله "حتى يسمع كلام الله".

الشيخ هنا يرمز للنبي وبالتبع الولي الوارث. والسوق سوق الجنّة الذي فيه الصور التي يتشكّل فيها الناس، فالسوق مصدر الصفارة فالسوق أمّ الكتاب الذي لدى الله تعالى لأنه من هناك تأتي الأمثال وتتبيّن السبل التي يمكن للناظرين فيها أن يختاروا التشكّل بأشكال أهلها كأن تقرأ مثل نوح فتختار التشكّل فيه بتعلّم علم نوح والعمل بعمله وهكذا.

أطفال الحارة هم أتباع النبي والولي الذين يعيشون في عصره وزمانه فيتعلّقون به لتعلّم العلم من خلاله.

القصّة تفرّق بين دافع الثمن وغير دافع الثمن. وهو الفرق بين المؤمن والمنافق. فالمؤمن دفع الثمن بالجهاد النفسي والوقت وجعل الهمّ في الآخرة، فهذا هو الذي يوم القيامة سيجد نوره يسعى بين يديه، بينما مَن سوى ذلك سيقال لهم "ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا". ومثل ما فعله الشيخ هنا سيفعله النبي مع أصحابه مثلاً الذين سيذهبون إليه للشرب من حوضه فيُرّدّوا عنه لأنهم لم يدفعوا الثمن بعبارة هذه القصّة بل بدّلوا وارتدوا على أعقابهم القهقرى، وهكذا كل فرد في الأمّة ممن يتمنّى الأماني على الأنبياء والأولياء ويظن أنه بمجرد اللفظ وصور بعض الأعمال سيحصل على قوّة تعلّم منطق الطير والتصفير صوت الطير والطير رمز الملائكة فالصفارة أيضاً هنا تشير إلى تحوّل صوتك من الصوت البشري العادي إلى صوت الصفير الذي هو صوت الطير والملائكة بالتأويل بمعنى تعلّم منطق العقول العالية والروح الرباني والأمر الملكوتي وهو العلم النافع في الآخرة.

ما هو الثمن؟ هو دراهم. {الذي أعطى الدراهم تصفّر صفارته}، الدرهم من درّ وهمّ، أي مَن دَرّ همّه في أمر الدين بمعنى صار همّه في الدين ويسيل همّه وينشغل قلبه بأمر العلم الإلهي، هذا هو الذي ستصفّر صفّارته.

...

(جحويات)

تنزيل: {أخذ حماره إلى السوق يريد بيعته. فجاء أحدهم ومدّ يده إلى فمه ليعرف عمره حسب العادة فعضّه الحمار عضّة بالغة فأخذ في الشتم والسب وذهب. ثم ظهر مشتر آخر فجاء وأراد أن يُمسك ذَنبه فلبطه لبطة شديدة تدهور بها الرجل على الأرض فأخذ يسبّ ويلعن وذهب. فجاء الدلال إلى الشيخ وقال له "إن هذا الحمار لا يبتاعه أحد فهو يعضّ ويلبط". فقال الشيخ "وأنا لم أُحضره للبيع إنما جئت به ليعلم المسلمون ماذا يُصيبني منه".}

تأويل سياسي معاصر: هذه القصّة تمثّل ما يقوم به حكام العرب المسلمين اليوم مع حكام دول العالَم عموماً والغربي خصوصاً. فهؤلاء الطغاة العرب يريدون تبرير طغيانهم عبر إظهار الأمّة كحمار جحا، بمعنى أنهم أمّة لا تفهم وهي أمّة عضّ ولبط فهي عنيفة ولا طاقة لهم بالتعامل معها. ويُظهرون معاناتهم في حكم هذه الشعوب العنيفة المتخلفة، حتى يبرروا لهم ما يقومون بها من جرائم إنسانية ومظالم سياسية وظلمات معرفية.

تأويل معرفي: الحمار هنا هو المقلّد، والشيخ هو المجتهد. حين يحاول بعض الناس إنكار التقليد على العوام، فإن الحل سيكون بإظهار أنهم كحمار جحا، بمعنى لنذهب بهم إلى سوق العلم والفكر ونعرضهم على الناس ولننظر كيف سيتعاملون معهم. إن حاولت التحاور معهم في أمور العلم ستجدهم بالغي السوء لا يعرفون حواراً ولا نقاشاً، وإن حاولت تقييم أعمالهم ونقدها والتدخل في أمور السلوك التي يسيرون عليها وهي الذَّنَب في القصة رمزاً فإنك ستجدهم لا يريدون تغييراً ويكرهون تقييم ما هم عليه وسيلبطونك على وجهك. فلدينا في الأمّة الكثير من الناس كحمار جحا، لا يريدون إلا التقليد ولا يفهمون لا الكلام في الأفكار ولا التغيير في الأعمال، وأقصى ما يستطيع المجتهد المتبوع القيام به للرد على المنكرين عليه قبوله هؤلاء الحمير هو أن يعرضهم على أهل الفهم والإرادة الرشيدة ليحاولوا تثقيفهم وإدخالهم في أمرهم الواعي ليروا ما الذي يصيب الشيوخ من هؤلاء فيرحموهم. فمن رحمة المجتهد بالمقلدين قبوله تقليدهم، وإلا فإن البديل هو إطلاق الحمار ليموت في الصحراء حيث لا يجد لا جحا ولا مشتري جديد يهتم به.

...

(جحويات)

قصّة: {ابتاع يوماً معلاقاً، وفيما هو ذاهب صادفه أحد أصدقائه فسأله "كيف تطبخ هذا المعلاق؟" فأجابه "حسب العادة". فقال "كلا إنما له طبخة أحسن أُعلّمك إياها"، فقال الشيخ "ربما لا أحفظ التعريفة فأرجوا أن تكتبها لي بورقة فأقرأها وأعمل بموجبها". فكتب له الرجل الورقة. واستأنف جحا السير إلى بيته، غارقاً في بحر الأفكار بعامل الاشتهاء كيف يطبخه، وإذا ببازي انقضّ وخطف منه المعلاق وطار به في الفضاء، فلم يُظهر الشيخ حيرة بل أخذ الورقة ومدّها للبازي قائلاً "لا فائدة لك منه فلا تقدر على أكله لأن الورقة معي".}

شرح: البازي هو الولي، والمعلاق هو كتاب الله، وصديق جحا صاحب الوصفة هو الشيخ المجتهد وأصحاب الرأي والمذاهب، وجحا يمثّل أتباع هؤلاء الشيوخ الذين لا يرون إمكان فهم كتاب الله والانتفاع به إلا عبر المذاهب والتي تتمثّل في القصّة بالورقة التي فيها تعريفة الطبخة فالورقة تمثّل كتب العقيدة والفقه ونحو ذلك الموروثة.

فالنكتة هنا هي اعتراض جحا على البازي بأنه لا يستطيع أكل المعلاق إلا بوصفة صديق جحا، وهذا كالذين يزعمون بأن القرءآن لا يمكن فهمه إلا عبر وسائط شيوخهم ومذاهبهم التقليدية. فهؤلاء خلطوا ما بين التعريفة والمعرفة، البازي وهو الولي لديه المعرفة الذاتية بينما المقلّدة لديهم في أحسن الأحوال تعريفة وهي فهم خاص واجتهاد ظنّي ونسبي مبني على رأي بعض الناس هم أنفسهم كانوا يرون أن رأيهم ظن وهو أحسن ما بلغه اجتهادهم ويرون احتمالية وجدان ما هو أحسن منه.

قال النبي "رُبّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه" وقال "رُبّ حامل فقه ليس بفقيه". البازي بمثّل الفقيه بالحق، الفقيه بالفقه الأكبر، فهذا يأخذ من معلاق الأقوال النبوية من أيدي حملتها ممن لا فقه لهم أو ممن لهم فقه أقلّ من فقههم والذين يعتمد فقههم على تفقيه غيرهم كاعتماد جحا هنا على ورقة صديقه.

القرءآن له حقيقة مجرّدة وهي ذاته العليا وروحه الأصلية، هذه الروح ينالها الولي صاحب المعراج في الملكوت بالقلب والإسراء بالنفس. بينما أهل الرأي الظني يعترضون على الأولياء بقولهم {لا فائدة لك منه فلا تقدر على أكله لأن الورقة معي} كما تسمع الآن حراس التراث الذين يفتخرون على الناس بأن الورقة معهم أي كتب التراث ويرون أنه لا يستطيع أحد أن يأكل من كتاب الله إلا عبر وصفتهم الخاصة بهم والتي كتبها لهم غيرهم. الخلط بين المطلق والمقيّد، وجعل التقييد وإن كان تيسيراً من وجه هو الوسيلة المطلقة للمطلق، هو الخلط المشار إليه هنا. فالمعلاق يمكن أكله مطلقاً عند من لديه الأسنان والمعدة المناسبة للهضم كالبازي وهو من الطيور الكاسرة، لكن بالنسبة لجحا وهو هنا البشر المعتاد الذي يطبخ {حسب العادة} أي حسب ما اعتاده ذهنه ونشأ عليه إن تركته وحده أو حسب {التعريفة} إن علّمه غيره من البشر مثله، فهذا لا يملك القدرة على أكل المعلاق كما هو في صورته الأصلية. كذلك الفرق بين الولي والعامّي، الولي قلبه يناسب روح القرءان لأنه كما قال ابن عربي "القرءان والإنسان الكامل أخوان"، أو قول النبي عن القرءان وعترته "الثقلين" وقال "لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض"، فتوجد مناسبة بينهما ولذلك قيل "إنما يفهم القرءآن مَن خوطب به" فوجه هذا القول هو أن الله يخاطب بالقرءآن في كل عصر أناساً مخصوصين ويجعلهم محلاً لقبول النور الحي والوحي الجديد الذي به يكون تجديد الدين، فالولي كالبازي يستطيع أكل معلاق القرءان كما هو بدون

واسطة تعريفة ولا تيسيرات طبخة ولا هوى العادة. لكن العامّي يتعامل مع الولي كأنه مثله فيعتبر أن كونه مفتقراً إلى تعريفة وورقة كتبها غيره دليلاً على أن كل الناس مثله، وبمثل هذا الاعتراض ردّ ابن عربي على قول لأبي حامد الغزالي في مسألة وقال ابن عربي أن الغزالي ومن شابهه حكموا على الأمر بحسب تجربتهم الخاصة فلما لم يجدوا أنفسهم قد ذاقوا أمراً ما حكموا على الجميع بذوقهم وجعلوا ما بلغوه هو العلم كله فقضوا بأنه لا يوجد فوق ما نالوه، وهذا مثل جحا الذ يلوّح بالورقة للبازي ويقول له {لا فائدة لك منه فلا تقدر على أكله لأن الورقة معي}. أنت لست مقياس الحقيقة، ولا سقف العلم، "وفوق كل ذي علم عليم"، فإن لم تعلم قل لا أعلم ولا تقل لا يوجد علم فوق ما أعلم. وعلى أية حال، البازي يطير في الفضاء بالطعام الإلهي ولا يبالي باعتراضك أصلاً.

...

(جحويات)

قصة: {سألوه "متى تقوم القيامة"، فقال "وأية قيامة تعنون"، فأجابوه "وهل القيامة متعددة"، فأجابهم "نعم، إذا ماتت امرأتي فتلك القيامة الصغرى، وإذا متّ أنا فتلك القيامة الكبرى"}

فكرة اجتماعية: القيامة هنا عبارة عن مصيبة تصيب الإنسان. وفكرة جحا تدور حول أهمّية المرأة في حياة الرجل. {إذا ماتت امرأتي فتلك القيامة الصغرى} لماذا؟ جحا عالِم من العلماء ومن أهل الله، وليس مهرجاً أبلهاً كما يظن الكثير. فموقفه من المرأة هو موقف العالِم الرباني منها. والفكرة هي أن الرجل ما دام حياً فهو بحاجة للمرأة، لأن القيامة الكبرى تكون موته بالتالي "كلهم آتيه يوم القيامة فردا" فلا معنى لبحث مَن هو المهم ومن هو غير المهم على مستوى المعيشة في الأرض بعد ذلك. بالتالي، فقدان المرأة هو أكبر مصيبة للرجل العاقل ما دام على الأرض، ولا يعلو على ذلك إلا موته هو "أصابتكم مصيبة الموت". فالعالِم لديه مصيبة صغرى هي موت امرأته مما يعني عزوبته، ومصيبة كبرى وهي موته هو لأن فيها انقطا ع عمله. فالسؤال: ما سرّ أهمّية المرأة للعالم الرباني والعارف الإلهي؟ توجد على الأقلّ خمسة أسباب لمحورية المرأة: روحي ونفسي وجسماني واجتماعي وأخروي.

السبب الروحي هو أن المرأة مجلى الرحمة الإلهية، وتواجد المرأة الصالحة هو حضور قوي ومباشر للرحمة الإلهي في حياة الرجل العارف، فلما كان الهبوط إلى الدنيا فيه ابتعاد نسبي عن موطن الرحمة الذي هو الجنّة العليا وكانت الدنيا محلاً للظلمات بشكل عام، فإنه مما يُشعر العارف بحضور الرحمة الإلهية معه حضور المرأة عنده وكونها معه وتحبّه وتحنّ عليه وترحمه.

السبب النفسي هو أن الرجل العاقل يريد إفاضة علمه وكلامه على إنسان غيره، وكلما كان تواجد هذا الإنسان القابل لكلامه أقرب منه وأيسر لتواصله معه وأعمق رابطة به كلما كانت إفاضته أحسن وأسهل وأريح لقلبه وهذا حال المرأة الصالحة مع صاحبها، فإنها أول وأحسن متعلّم منه "واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة".

السبب الجسماني هو أن العارف حي بكل أبعاده والحياة تتدفق فيه من جميع جوانبه، ومظهر الحياة والحيوية هو الإفاضة، فحياة القلب بإفاضة الوحي وحياة القالب بإفاضة المني، بمعنى أن الاجتماع والجماع مظهر حياة الرجل باطناً وظاهراً، وفي حال انقطع عنه القابل له في واحد من هذين البعدين فقد أصابته مصيبة كبيرة، ومن هنا رحم الله باطن العالِم بتشريع الكتابة في حال غاب القابل الإنساني، لكن تبقى قضية الإفاضة الظاهرة وهي الجماع الجسماني النظيف والطيب وذلك يكون مع المرأة. فأحسن رجل مَن لا ينقطع فيضه الباطني والظاهري، وأحسن امرأة مَن لا ينقطع قبولها الباطني والظاهري، وبهما معاً يكتمل الأمر.

السبب الاجتماعي مبني على أن العالِم لابد له من معين على إقامة شؤون معيشته، وشؤون المعيشة تنقسم إلى داخل البيت وخارج البيت، فالخارج الإتيان بالمال والأغراض والمتاع، والداخل النظافة والترتيب والتنظيم، ولابد من الاثنين معاً. فإن قام الرجل وحده بالأمرين معاً كلّفه ذلك من الجهد والمشقة وإنفاق الوقت ما يسلبه معظم يومه فقط لتدبير معيشته ويشغله من وجه عن تحصيل معرفته ونشر رسالته وعبادة ربه بالمعنى الخاص للعبادة. ومن هنا تأتي المرأة لتشاطر الرجل هموم إقامة المعيشة، فتأخذ قسماً من القسمين ويأخذ هو القسم الآخر، أو في بعض الحالات النادرة تقوم المرأة بالقسمين معاً إن كانت تقدر على ذلك وترى أهمّية تفريغ زوجها العالِم تماماً لأمر العلم من هذا وجه. فأدنى النعمة مشاطرة همّ المعيشة بالمناصفة، وأعلى النعمة الفراغ منها تماماً، هذا باعتبار. وإن كان باعتبار أخر قد تكون أعلى النعمة المشاطرة بالمناصفة، حتى يبقى للرجل نوع من الاتصال بكيفية تدبير أمر معيشته ولو نصفها مع مساعدته أهله وحتى خدمه في أمر البيت ولو أحياناً حتى لا يغيب تماماً عن هذا الهمّ في حال فقد أهله أو خدمه لسبب أو لآخر كما قال النبي "اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم" (وهو ما قاله الشاعر "كل نعيم لا محالة زائل" وردّ عليه الصحابي عدواناً حسب الرواية بقوله "كذبت فإن نعيم الجنّة لا يزول" وليس هذا النقد إنصافاً وإن كان الصحابي يريد استغلال هذه النقطة اللغوية كمدخل للدعوة إلا أن النقد المتزن ينفي ذلك فإن الشاعر لم يقصد "كل نعيم" مطلقاً وإنما كل نعيم دنيوي، فالصحابي اعتدى من حيث النقد الأدبي وإن كان أحسن من حيث استغلال الثغرات بالتفسير الحرفي الصارم للدعوة إلى الإيمان. ولو صدق الصحابي من كل وجه بنقده للشاعر لوجب أن يُكذَّب قول النبي "فإن النعم

لا تدوم" بحجّة أن نعم الجنّة تدوم، وهذا يكفر به صاحبه كما هو مشهور. فمن التطفيف انتقاد الشاعر لأنه غير مسلم وعدم انتقاد النبي والقول واحد، فهذا يخالف أمر النبي والقرءان الذي جاء به فضلاً عن مخالفته لأساس العدل والإنصاف. المهم، نرجع إلى ما كنّا فيه إن شاء الله.)

السبب الأخروي من قول الله تعالى "قوا أنفسكم وأهليكم ناراً" وقول النبي "لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس" وقوله عن مَن فرج هماً من هموم أو كرباً من كروب الدنيا عن مؤمن بأن الله سيفرج عنه من كرب يوم القيامة فمن باب أولى أن مَن فرج عن إنسان كرباً أو حماه من طامة أخروية يكون أولى بذلك الأجر العظيم. الفكرة هنا هي أنه بتعليم العالِم امرأته أمر الدين وحقائق المعرفة يكون قد عمل بهذا الأمر الإلهي وهو فضل عظيم وتشريف كبير له، وكذلك يكون قد اكتسب ثواب مَن وقى إنساناً من النار وهداه إلى الجنّة.

هذه خمسة أسباب تجعل موت المرأة عند العالِم قيامة صغرى. فالمرأة فيض رحمة ومعرفة ولذة ومعونة ونجاة للرجل. فإن كان العارف سيعظّم إنساناً فليعظّم امرأته، وإن كان سيبذل همّه في رضا إنسان فليكن في رضا امرأته ومن هذا الباب بلغ النبي من الحب والعناية برضا نسائه حتى بلغ حد أن يقال له "يأيها النبي لم تحرّم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك". فمن المحاذير المعروفة في المرأة غير الصالحة والدنيوية والكافرة، فإن كلامنا في المرأة المؤمنة العاقلة المحسنة وليس في المرأة من حيث هي مرأة ولا كل امرأة، فإن من النساء من مجرد مرورها أمامك يقطع صلاتك وهي التي همها الدنيا كالكلب وعقلها فارغ كالحمار وليس الكلام في هذا الفريق من النساء. كما أنه بالنسبة للمرأة، ليس كل رجل يستحق ما مضى من تعظيم واهتمام، فإن من الرجال من هو أخسّ من الكلب والحمار "بل هم أضلّ سبيلاً" بل هم مظاهر شياطين لابد من الاستعاذة منه والدعاء للخلاص منه كدعاء امرأت فرعون "نجني من فرعون وعمله". لا جنس الرجل ولا جنس المرأة له فضل ذاتي، بل الفضل بالحال والعقل والعمل. موت المرأة العاقلة الرحيمة قيامة صغرى، لكن موت المرأة الطاغية المظلمة لزوجها فرحة عظمى.

...

في أول ٩ آيات من سورة الشعراء، ذكر ثلاثة أصناف من الآيات: الحرف والإخضاع والمَثل. أما الحرف فقوله {طسم. تلك ءايات الكتاب المبين}. وأما الإخضاع فقوله {إن نشأ ننزّل عليهم من السماء ءاية فظلّت أعناقهم لها خاضعين}. وأما المَثَل فقوله {أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم. إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين.}. من بين هذه الأصناف الثلاثة، المُعتَمَد منها في الهداية آية الحرف والمَثل، أي الكتاب المسطور والكتاب المنظور كما يقال، أو اللغة والطبيعة إن شئت. وأما آية الإخضاع فهذه وإن كانت ممكنة {إن نشأ} إلا أن

الله لم يشأ، لأن الدنيا دار ابتلاء بمعنى حتى يظهر ما في نفس كل إنسان من داخله وبحسب حريته، وإلا جاءت الآية المُخضعة للأعناق فلا معنى للابتلاء لأن الكل سيتمثل ظاهراً بحسب مضمون الآية {فظلّت أعناقهم لها خاضعين} الأعناق وليس القلوب، أي الظاهر بدون الباطن، فسيكون نفاقاً وتقية وليس إيماناً وإرادةً. على ذلك، الحرية الدينية أصل إلهي مطلق، وعليه قام الدين الإلهي الحق. فمن زعم أن الله أمر ناساً بإنشاء دولة تُخضع أعناق الناس للدين فقد كفر بالله وبالدين وكذب على الله وافترى عليه. ما كان الله ليمنع إنزال آية من السماء لإخضاع الأعناق للدين ثم يأمر بإنشاء دولة من الأرض لإخضاع الأعناق للدين. آيات الديانة الحقة هي اللغة والطبيعة. ثم من شاء فليعقل ويؤمن ومن شاء فليكفر.

...

حين قال موسى لفرعون {إنا رسول رب العالمين. أن أرسل معي بني إسرائيل} ردّ فرعون على هذه الثلاثة كلمات {رب-العالمين-أرسل معي بني إسرائيل} بثلاث كلمات.

ردّ على {رب} بقوله {ألم نربّك فينا وليداً}: يعني أنا ربك لأني ربّيتك، وأما هذا الرب الذي تتحدّث عنه فلماذا لم يربّك هو حين كنت صغيراً لقيطاً. لم يرد موسى عليه هنا وقد كان بإمكانه أن يرد لكنه أحسن إلى مَن أحسن إليه، وردّ موسى هكذا: أنت لم تربيني إلا لأنك افتقرت إليّ بقول امرأتك وقبولك لقولها "لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا" فأردتم الانتفاع بي واتخاذي ولداً، بالتالي لي من المنّة عليكم مثل ما لكم من المنّة عليّ إن كان لأحدنا منّة على الآخر لكن الله يرزق الناس بعضهم ببعض، وقد رزقكم بي ورزقني بكم، فلا ربوبية لكم عليّ كما لا ربوبية لي عليكم. وهذا مثل أجسامنا في الأرض، فإن الأرض ليست ربنا لأننا نأكل من الأرض لكننا نُطعِم الأرض أيضاً فضلاتنا ثم نُطعمها أجسامنا في نهاية المطاف، فأخذنا منها وأخذت منّا، وكذلك مثلاً أجسامنا مع الأشجار فإن الشجر يتنفس فيعطينا ما نحتاجه من هواء ونحن نتنفس فنعطيه ما يحتاجه من هواء. فإن كنت ربيتني وأنا صغير، فقد رزقك الله بي ما عجزت عن تحصيله بغيري وأنت كبير وهو النفع والولد الذي كنتم تريدونه وأنت وامرأتك التي عجزت عن تخصيبها.

ردّ فرعون على قول موسى {العالمين} بقوله {ولبثت فينا من عمرك سنين}: يعني بيتنا كان العالَم الذي عشت فيه ففي مكاننا وزماننا عشت ونشأت فبيتي كان العالَم بالنسبة لك. لم يرد عليه موسى أيضاً إحساناً معه، وكان بإمكانه أن يقول: أنت وفرت لي بيت الجسم لكن أنا وفّرت لك بيت في نفسك حين جعلتك تشعر بالأبوة والرعاية والنفع الذي طلبتموه بواسطتي، فبيتك كان حجراً ووجودي فيه هو الذي جعلك وامرأتك تشعرون بروح البيت والمقصد منه وهو العائلة. فأنا أعطيتك بيت في نفسك، وأعطيتك روح بيت الجسم الذي وفّرته لي. فلي عليك

ربوبية إن كانت لك عليّ ربوبية. فأنت وفّرت لي ظاهر العالَم وأنا وفّرت لك باطن العالَم، ففضلي عليك كفضل الروح على الجسم. "وألقيت عليك محبّة منّي"، فصرتم بفضلي تشعرون بالمحبة الإلهية وإن لم تحسنوا تسميتها وتمييزها، فإن كنت قد لبثت في عالمكم الصوري فقد لبثتم في عالَمي الروحي والمحبة التي أُلقيت عليّ من إلهي.

رد فرعون على قول موسى {أن أرسل معي بني إسرائيل} بقوله {وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين}: يشير إلى قتل موسى للرجل الفرعوني، فكأن فرعون يقول له: أنت تزعم أن إلهك يريد منك تحرير بني إسرائيل لأن الحرية خير من العبودية، بينما اختار إلهك لهذا الأمر قاتلاً مثلك تسبب في إخراج إنسان من الحياة إلى الموت، فإن كانت العبودية موتاً للنفس فأنت تسببت أيضاً بموت نفس، وإن كنت أنا مذنباً بقهري بني إسرائيل بالعنف فأنت يا موسى قد قمت بقهر ذلك الرجل بقتله أيضاً. هنا ردّ موسى فقال {فعلتها إذاً وأنا من الضالين} فاعترف بالفعلة لكنه غيّر وصفه حينها، لأن فرعون وصفه بالكفر {وأنت من الكافرين} ولم يكن موسى كافراً لأنه لم يعرف الحق حينها بل جاءت الرسالة له بعد ذلك {ففرت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين} فالرسالة لم تأته إلا بعد عملية القتل. فكأن موسى قال: إن كنتُ أنا مذنباً بكوني من الضالين الذين يقتلون على العصبية، فأنت المذنب يا فرعون لأنك وباعترافك الذي ربيتني وبثت فيكم من عمري سنين، ولأنكم أهل عدوان وقتل وعصبية وقهر فإني أخذت ذلك منكم وتأثرت به إلى حد ما، وإن كنت لم أستعمله إلا لنصرة المستضعف وأنتم تستعملونه للبغي والقهر وتعبيد مَن لا يريد عبادتكم طوعاً، فإن كان لي جرم فأنت شريكي فيه بل أنت أصل الجرم لأني كنت عاجزاً صغيراً تربيت فيكم وليداً ولبثت فيكم من عمري سنين فاستقبلت قيمكم وعاداتكم ونظرتكم للآخرين ولو بدرجة ما، فكنت في ظلمة الضلال فأخرجني الله منها إلى النور {فوهب لي ربي حكماً}، وليس غريباً على رب العالمين أن ينقل الإنسان من الضلال إلى الهداية كما أننا نراه الآن يُقلّب الليل والنهار، فيجعل شمسه تشرق على الليل وتضيء الأرض ويحيي الأرض بعد موتها بإنزال الماء عليها. وفيك يا فرعون آية من ذلك، فأنت الآن تكلّمني وتجادلني، وهذا مبني على أني في ضلال وجنون وغلط، فأنت تراني في ظلمة ومع ذلك تتكلّم معي وتريد إخراجي إلى ما تراه نوراً بإشراق كلامك عليّ، فكما أنه لم يمنعك ضلالي عن كلامي كذلك لم يمنع الله تعالى سابق ضلالي عن وهبي حكماً وجعلي من المرسلين. فهذه آية من خلق الله وآية من نفسك يا فرعون.

...

{قال} فرعون لموسى. {لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين} وبهذا يبيّن أن الألوهية هنا هي القدرة على سلب الحرية الفردية. ففرعون جعل عقوبة من يتخذ إلهاً غيره هي سجنه،

والسجن تقييد الحرية بالقهر والجبر، فكأنه يقول له: ليحررك إلهك الذي اتخذته غيري إن كنت صادقاً أنه أولى بالألوهية منّي. عقوبة السجن عقوبة إله لعبده، من هنا تجد عقوبة الله لأهل النار "سجّين" و "إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة" و "كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها"، فالسجن عقوبة إلهية ولا تنبغي إلا لله تعالى، ولذلك لا يوجد في القرءان سجن إلا شقي يسجن ولي أو طاغية يهدد خصومه بالحق بالسجن، كيوسف الذي سجنه أهل الهوى، وكموسى هنا. من هنا نعلم أنه يجب إلغاء جميع السجون، وما هي إلا مظاهر حكومات متألهة متفرعنة من هذا الوجه.

مع التنبّه إلى فارق جوهري وهو أن سجن يوسف وموسى ونحوهم إنما كان بناء على الهوى والتجبّر، بينما السجن في الدول الديمقراطية العادلة عموماً مثلاً عادةً يكون لأنهم لا يريدون قتل المجرم أو قطع يده أو نحو ذلك فيعتبرون السجن أرحم عقوبة، وهذا مع أنه فارق مهم إلا أنه لا ينبغي الأخذ به ولابد أن نؤيد حركة إلغاء السجون لأنها تعزز التوحيد. قتل الإنسان أهون من سلبه حريته، وبتره وجلده وصلبه وكل عقوبة أخرى أهون من سجنه وسلبه حريته.

يرد على ما سبق آية فاحشة النساء {فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً}. ونقاش ذلك: أوّلاً لابد من إثبات أن هذه الأحكام ظاهرية، وثانياً لابد من إثبات أنها تنطبق على مَن لا يؤمن بها ويرضى أصلاً بالدخول في الجماعة التي تطبّق هذه الأحكام، وثالثاً يوجد فارق ما بين السجون والبيوت والآية تتحدّث عن البيوت لا السجون، وحجج أخرى كثيرة محلها المناسب أثناء دراسة تلك الآية تحديداً، ومنها تحديد ما هي الفاحشة وهل عقوبة الجلد للزاني المقررة في القرءان هي السبيل المجعول لهن فينقضي أمر الإمساك في البيوت على فرض أن معناه هو الحبس ولو في بيوت غير سجون أي في بيوتهن مثلاً أو بيوت يمكن مراقبة ما يحدث فيها. لكن لا يخفى أن في ظاهر الآية ما يشير إلى التمييز بين عقوبة أصحاب الفواحش من النساء وأصحاب الفواحش من الرجال لأنه في الرجال ورد الإيذاء فقط دون الإمساك في البيوت، وفي النساء ورد الإمساك في البيوت دون الإيذاء، وذلك في الآية بعدها "واللذان يأتيانها منكم فآذوهما"، ولا يخفى أيضاً أن معنى الإمساك وصفة البيوت ونمط الإيذاء كلها أمور مبهمة مجملة لا تناسب التقنين التفصيلي الواجب خلوه من الشبهات والاحتمالات لأنه خطير وفيه عدوان على الناس والأصل عدمه بيقين مطلق فلا يمكن سلبه بمثل هذه الظنون والمحتملات والمجملات.

...

نقول {الحمد لله رب العالمين}، ما معنى {العالمين}؟ أجاب موسى عن ذلك حين سأله فرعون {وما رب العالمين}، فأعاد موسى اسم {رب} كما هو في أجوبته الثلاثة، ونوّع فقط في شرح كلمة {العالمين}، فقال مرّة {السموات والأرض وما بينهما} وثانية {ربكم ورب آبائكم الأولين} وثالثة {المشرق والمغرب وما بينهما}. فهذا إذن معنى كلمة {العالمين} ببيان قرآني موسوي. {العالمين} السموات والأرض وما بينهما وَالناس من الأولين والآخرين وَالمشرق والمغرب وما بينهما.

...

عدم تصديق الروايات لا يعني التكذيب بحديث النبي. بل وزيادة، عدم التصديق بالآيات ليس بالضرورة تكذيب للرسول. لأن الوسائط في النقل وفي الفهم والاختلاف في الزمن، كلها شبهات، وليس من الرحمة المعاقبة مع الشبهة، وقال العقلاء الرحماء "إذا دخل الاحتمال بطل الاستدلال".

نستطيع تعزيز هذا المعنى بشيء من الروايات ذاتها، وقد شهد شاهد من أهلها. في سرية زيد بن حارثة إلى جذام قال القوم للرسول {ابعث معنا رجلاً لزيد} فبعث معهم علياً يأمر زيداً أن يخلي بينهم وبين حرمهم وأموالهم. فقال علي {يا رسول الله إن زيداً لا يطيعني} فقال الرسول {خذ سيفي هذا} فأخذه وتوجه، فلما وصل علي إلى زيد {أبلغه أمر رسول الله}، فقال زيد {ما علامة ذلك} فقال علي {هذا سيفه} {فعرف زيد السيف وصاح بالناس فاجتمعوا فقال "من كان عنده شيء فليرده فهذا سيف رسول الله"} وحينها {رد الناس كافة كل ما أخذوه}.

الآن نقول: هذا علي بن أبي طالب وهو مَن هو في الإسلام ومن قرابة النبي وهو ثقة قطعاً وزيادة على ذلك فهو وزيد بن حارثة من عائلة النبي وتربوا معاً وبينهم روابط عِشرة لا فقط روابط ديانة. ومع كل ذلك، لما روى علي أمر النبي لزيد لم يصدّقه زيد مباشرة، بل قال له {ما علامة ذلك}، بالتالي كلام علي وهو من أهل البيت وصحابي ومن أقارب النبي ومن علماء المسلمين والمجاهدين الصادقين، وليس بين علي والنبي واسطة وليس بين زيد والنبي إلا واسطة نقل واحدة وهي علي، ومع ذلك لم يأخذ كلام علي إلا بعد ما طلب دليلاً غير نفس الكلام وكون علي ثقة، بل سأل حجّة من غير كلام علي ذاته وشخصه، وكان {سيف رسول الله} الذي عرفه زيد هو سبب تصديقه علياً بن أبي طالب. هذا والموضوع شيء من الأموال والغنائم الدنيوية. ولما قال علي للنبي {إن زيداً لا يطيعني} لم يقل النبي "بل سيطيعك لأنك كذا" أو " يجب عليه أن يطيعك ويصدقك إيماناً بك" أو أي شيء من هذا القبيل، بل أقرّ النبي زيداً على عدم طاعة علي إلا بعلامة منفصلة يعرفها زيد ويعرف أنها لا يمكن عادةً أن تصدر إلا من النبي وهي سيفه (مع أن الشك إن فتحنا بابه مطلقاً يمكن أن يخبرنا بأن شخصاً سرق سيف

النبي للقيام بذلك لكن هذا مُستَبعَد واقعاً في تلك الظروف إلا أنه ممكن واقعاً وليس مستحيلاً لا عقلاً ولا واقعاً وله نظائر في التاريخ، كختم عثمان الذي يقال بأن مروان استغله لأغراضه).

بناء على ذلك، عدم الحكم بأن قولاً ما صدر من النبي بحجّة عدم وجود علامة تبيّن ذلك، لا يعني بالضرورة الطعن في الناقل وإلا لكان زيد يطعن في صدق ودين علي بن أبي طالب في هذه القصّة ولكان النبي مقرّاً لزيد طعنه هذا ولا أحسب أن سنياً أو شيعياً يقول بذلك. وبالتأكيد لا يعني ذلك الطعن في أمر النبي ذاته ويكون تكذيباً لحديثه، وإلا لوجب على علي بن أبي طالب أن يقول لزيد حين سأل العلامة "وهل تكذّب بحديث رسول الله"، كما يفعل الغافلون اليوم حين يرون شخصاً يرفض رواية صحيحة السند ويطعنون فيه وكأنه ردّ كلام رسول الله نفسه. لا يوجد على وجه الأرض ولا لكتاب مرويات ولا لُمحدِّث سند أعلى من سند قال علي بن أبي طالب عن النبي، وهو يرويه لزيد المعاصر للاثنين. إرادة "علامة" أمر معقول ومشروع، وفي حال لم نجد علامة لاستحالة وجودها فيسقط الاعتبار والاحتجاج بالمرويات كلها، هذا مُرّ الحقيقة، ثم بعد ذلك يأخذ مَن يشاء بما يشاء، لكن ليس له الطعن على الناس طعناً مطلقاً لعدم ثقتهم بالمروي والمنقول وإن حسّنوا الظن بالناقل.

...

مَن ضرب جسم ولده حتى يجعله يصلّي، فهو معتدي آثم، وإن كبر ولده وكره الصلاة لأنه كان يُضرَب جسمانياً عليها فوالده شريكه في الإثم. الضرب الجسماني على الصلاة إكراه في الدين، و{لا إكراه في الدين}، وهو من أبرز صور الإكراه بل جميع صور الإكراه تؤول إلى ضرب الأجسام وهو من التعذيب، فإن كان من والد لولده كان تعذيباً جسمانياً ونفسانياً لأن الولد يتأثر بتوحش والده ووالدته بنحو لا يتأثر به بغيره. ومن الآثار السيئة لذلك، ولكل ضرب للأولاد عموماً، هو تعليم الناس عدم احترام المسافة بين الأجسام، فينشأؤون وهم يسحبون أن مسّ أجسام الآخرين أمر مقبول أو عادي، وهذا أساس عنف أكثر المجرمين وخصوصاً الجنود والشرط الذين عادةً ما يأتون من بيوت الطبقات السفلى التي يكثر فيها ضرب الأجسام وعدم احترام المسافة بين الجسم والجسم، وكذلك ينشأ الناس وهم يرون الحكومات الطاغية تعتدي على أجسام المسالمين من المعارضين السياسيين والمخالفين الدينيين والفكريين والمختلفين الثقافيين فيعتقدون بجواز ذلك أو على الأقل لا يثير فيهم ضجّة وثورة لأنهم هم أنفسهم تعرضوا لمثل ذلك العدوان بدرجات مختلفة في صغرهم في بيوتهم وفي مدارسهم. صلاة يُضرَب عليها ليس صلاة. في الأصول التسعة، الرواية في ضرب الصبيان على الصلاة لعشر سنوات مروية عن عبدالله بن عمرو بن العاص وعن شخص آخر يقال له صحبة، ومن أجل هذين الشخصين الذين أحدهما ابن الخبيث والثاني الله أعلم بحاله، في مشارق الأرض

ومغاربها يُضرَب الأولاد ويُكفَر بالصلاة الحقيقية الحية الصادقة، وهو أمر ليس له وجود في كتاب الله لا نصاً ولا روحاً، هذا إبراهيم لم يجرؤ على مسّ جسم ابنه تنفيذاً لأمر ربه بذبحه حتى سأله "فانظر ماذا ترى" حتى "أسلما" فأسلم الولد من نفسه، والأدلة كثيرة وأهمّها "لا إكراه في الدين" وهو كافٍ ولا حاجة لدليل غيره، فضلاً عن أن صلاة بالضرب ليست صلاة لله وإنما هي صلاة للضارب كما فصّله فقهاء المذاهب المعروفة في باب الإكراه في قضايا الإكراه عموماً إلا أن المذاهب السنية على الأقلّ ولعل غيرها أيضاً اجتمعت على العدوان على تارك الصلاة بحسب فهمهم للصلاة عمداً أو ترك الصلاة كلها عمداً، فمنهم من أمر بقتله ومنهم من أمر بضربه وحبسه، ومثل هذه الأحكام وغيرها هي جذر الشرّ والاستعباد الديني ويتبعه السياسي والذي يمنع من حدوث تغيير جذري في الأمّة في باب التحرير والتنوير، لأنهم مهما قالوا في هذه الأبواب لا يزالون يعتقدون بأحكام هي في صلبها طغيان في طغيان وفرعنة ظاهرة. لا غرابة أننا نرى مئات الملايين من المصلين في بلاد هي مرتع الفحشاء والمنكر وملجأ الفساد والظلم والطغيان والجهل، ولم تأمرهم صلاتهم المزعومة بتغيير شيء من ذلك. شجرة الظلم السياسي تضرب بجذورها في الظلام الديني. وأوّل ما يجب تغييره لنزع هذه الجذور الخبيثة يتعلّق بمسألتين: إبطال قتل المرتد وإبطال العدوان على تارك الصلاة. بهذين سيصبح المسلم مسلم من قلبه لربّه، والمصلّي مصلّي من قلبه لربّه. أما الآن، فالدين للدولة والصلاة للطاغية. وإن زعم الزاعمون خلاف ذلك. وهم يعلمون في قرارة أنفسهم أن هذا هو الحال، ولذلك يخافون من تحرير الدين والصلاة من عدوانهم وشرطتهم وآبائهم، لأنهم يعلمون بأن أول ما سيفعله أكثر الناس أو الكثير من الناس هو البصق في وجوههم بسبب طول ظلمهم وعمق ظلامهم.

...

غيّر عاداتك بحسب ظروفك، ولا تبحث عن عادة واحدة لكل الظروف، فإن تغيير العادة بحسب الظروف أقرب من العقل وأبعد من المَلل.

...

سبق أن ذكرت أمثلة على كيفية تحريف رواية سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإظهاره عليه السلام بصورة قبيحة ومتوحشة وظالمة أو على الأقلّ الإيحاء بشيء من ذلك وهو أمر يناسب مزاج الظالمين الذين أرادوا جعل جرائمهم موافقة لسنّة النبي بجعل سنّة النبي موافقة لجرائمهم. فتعالوا ننظر في مثال آخر إن شاء الله وهو مثال {سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة} أو التي تُسمّى أيضاً {سرية أبي بكر لبني فزارة بوادي القرى}.

الذي يهمّني من هذه القصّة هذه الفقرة، وأنقل من السيرة الحلبية: {فأمر زيد بن حارثة أن تُقتَل أم قرفة أي لأنها كاتن تسب النبي صلى الله عليه وسلم}. وفي خبر سمّاه الحلبي نفسه نقلاً عن {بعضهم} بأنه {خبر منكر} وهو خبر يستعمله بعض خصوم الإسلام والنبي لإظهار وحشية النبي والمسلمين بالتبع، فيه أن قتل أم قرفة هذه كانت بهذه الطريقة {فربط برجليها حبلين ثم رُبِطا إلى، بعيرين وقيل إلى فرسين، فركضا فشقّاها نصفين} انتهى بتقديم وتصرّف ببضعة حروف لجعل الرواية مستقيمة فإن الحلبي ينقل الكلام المختلف بنحو متداخل أحياناً يصعّب اتصال الرواية واستقامتها لكن المعنى واحد وهو أن قتل أم قرفة كانت بشقّها نصفين كما نقلتُ هنا.

الآن، لماذا قُتلت أم قرفة؟ حسب قول الحلبي {لأنها كانت تسبّ النبي}. كيف قُتِلَت أم قرفة؟ إما بنحو لا نعرفه وإما بشقّها نصفين.

ثم نقل الحلبي كلاماً كثيراً مختلفاً عن علماء السيرة في تفاصيل تلك القضية. لكن يكفي أن تقرأ عن قتل أم قرفة لأنها كانت تسب النبي، ووجود احتمال أن قتلها تم بشقّها نصفين بتلك الطريقة البشعة، بدون أي تبرير أو تفسير آخر، حتى تقول بأن المسلمين هؤلاء جماعة من المتوحشين الظالمين الذين يقتلون على الكلمة. لكن ما هو الحق والذي يشهد له نفس الكلام الذي نقله الحلبي؟ لننظر. كل التفاصيل التي سأذكرها هي من داخل كلام الحلبي إن شاء الله الذي نقله وذكره، وسأذكر منها ما يوافق الأصول القرآنية والعدلية والتي تبيّن كذب وافتراء كون قتل أم قرفة كانت لأنها كانت {تسب النبي} إن شاء الله، وإن ذكرتُ كلاماً من رأيي سأقول بأنه من رأيي وإلا فكل ما سأنقله هو من نفس كلام الحلبي ومن نقل عنهم من علماء السيرة.

١-خروج زيد بن حارثة وأصحابه في هذه السرية لم يكن لغزو بني فزارة بل كان تاجراً. خرج ومع بضائع لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. فلما اقترب من منطقة سكن بني فزارة المعروفة بوادي القرى، هجم عليه ناس من بني فزارة فضربوه وضربوا أصحابه وظنوا من شدة ضربهم زيداً أنهم قد قُتلوا، فأخذوا ما كان معهم. هنا أهمّ نقطة. السرية لا تُطلَق فقط على مَن خرج للقتال أو للتجسس، بل تُطلَق على {الطائفة التي خرجت للتجارة}. كما في حالة زيد بن حارثة وأصحابه هنا. أساس الأمر إذن، خروج سلمي من زيد وأصحابه للتجارة، والعدوان على أنفسهم وعلى أموالهم بدأ من بني فزارة.

٢-بعدما رجع زيد بن حارثة إلى المدينة جريحاً، أراد أن يغزو بني فزارة الذين اعتدوا عليه. فلما عوفي أرسله النبي الآن في سرية قتال، وهذا عدل.

٣-أم قرفة هي {كانت العرب تضرب بها المثل في العزّة}، و{كانت في شرف من قومها، وكان يُعلّق في بيتها خمسون سيفاً كلهم لها مَحرَم وكان لها اثنا عشر ولداً}. ولاحظ أن بعضهم سمّى سرية زيد {سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة بناحية وادي القرى}. لماذا سمّوها {إلى أم قرفة}؟ أرى أنها كانت رئيسة في قومها، بدليل قول الحلبي {وجاء أنها جهّزت ثلاثين راكباً من ولدها وولد ولدها وقالت لهم "اغزوا المدينة واقتلوا محمداً"} احفظ هذه العبارة جيداً. أم قرفة هذه لم تكن امرأة بريئة جالسة في بيتها تغزل، بل جهّزت فرقة اغتيال للنبي، فرقة لغزو المدينة وقتل النبي. هذه المرأة لم {تسب النبي} فقط، بل {جهّزت ثلاثين راكباً} ثم أمرتهم {اغزوا المدينة واقتلوا محمداً}، فمثلها مثل أبي سفيان أو أي قائد عسكري آخر. فمن هنا شرفها لم يكن مجرد شرف امرأة لديها رجال كثر ينتسبون إليها، بل شرفها تمثّل في أنها كانت تجهّز فرق الحرب وتأمر بالقتال والاغتيال فتُطاع، فهي رئيسة عسكرية إذن بهذا المعنى، بغض النظر عن مَن الذي يطيعها وعددهم. فيكفي أنها جهزت سرية قتال، أو كتيبة اغتيال، وأرادت منهم أن يقتلوا النبي. لذلك قتل أم قرفة كقتل أي قائد عسكري معتدي بل كقتل أي مسلم أيضاً لو أراد اغتيال إنسان أو أفسد في الأرض بالقتل والسعي في القتل. كونها امرأة لا يغيّر من واقع جرمها شيئاً. فالنبي لم يقاتلها ولم يرسل أحداً لقتالها ابتداءً، بل قومها بني فزارة هم الذين بدأوا بالعدوان على زيد وأصحابه الذين إنما خرجوا للتجارة، فهم الذين بدأوا بقتال أصحاب النبي وأرادت شريفتهم قتل النبي نفسه فعلاً بتجهيزها الفرقة وأمرها بتنفيذ المهمة.

٤-لم ينقل الحلبي ما هو السب الذي كانت تسبّه أم قرفة النبي. لكنه نقل أنها جهّزت فرقة قتل للنبي ونقل قولها الذي تأمر فيه مَن يطيعها بقتل النبي. وهي شريفة قوم بدأوا بالاعتداء على أصحاب النبي المسالمين. فسبب قتلها ومحاربة قومها ليس كلامهم بل ضربهم وقتلهم ونهبهم.

٥-الآن، بالنسبة لقضية شقّ أم قرفة نصفين. نقل الحلبي عن بعض علماء السيرة قوله بأن هذا {خبر منكر}، وهذا يكفي لردّه. لكن رأيي أنا هو أن هذه القصّة قد تكون صحيحة ولها أصل صحيح، وسبب قولي لذلك: هو أنه لا يوجد سبب يدعونا إلى الاعتقاد باختلاق شيء كهذه القصّة بتفاصيلها المروعة من لاشيء، فقد قيل من قبل بوجود نساء ورجال سبوا النبي وقيل بأنهم قُتلوا لذلك لكن لم يخترع أحداً قصة قتلهم بطريقة متوحشة كهذه. غرابة وتفاصيل القصة

وشذوذها يدلّ على أنه قد يكون لها أصل. وأنا سأسلّم بأن لها أصل، وسأفترض بأن أم قرفة فعلاً تم قتلها بهذه الطريقة. لكن بناء على ما مضى من حقائق، وبناء على أنه ليس في الإسلام الأمر بقتل أي رجل أو امرأة ولأي سبب إلا بضرب الأعناق، فلابد من النظر إلى الحالة الاستثنائية التي قُتِل في البعض بطريقة وحشية، وسنجد أن هذا كان على قاعدة العدل "العين بالعين"، كما حدث مع أولئك الذين قتلوا راعي النبي فقتلهم النبي كما قتلوا الراعي وبنفس الطريقة المتوحشة التي اعتدوا فيها على ذلك البرئ المسكين. رأيي أن أم قرفة قتلت بعض المسلمين أو قتلت إنساناً ظلماً بتلك الطريقة المتوحشة، وهذا ليس غريباً على عادات عرب الجاهلية وحبّهم للتمثيل والعنف الشديد في قتل خصومهم أمر مشهور كما فعلوا مع بعض أصحاب النبي من أول الدعوة وكما حدث بعد ذلك حين تلبّس هؤلاء بلباس الإسلام وفعلوا الأفاعيل بعد ذلك كما في دولة بني أمية وبني العباس، وهذا ليس غريباً أيضاً على امرأة "شريفة" تريد إظهار قوّتها في مجتمع ذكوري رجولي عموماً فتعمل على إظهار المزيد من العنف حتى تُظهر "رجولتها" إن صح التعبير فنحن نرى حتى اليوم ما يشبه ذلك فكم من امرأة أرادت منافسة الرجال في مجال عمل ما مليء بالرجال فتجدها أكثر رجولية من الرجال أنفسهم لأنها تريد التعويض عن النقص الذي تراه في أعينهم تجاهها وإثبات أنها جديرة بالتميز بينهم بالرغم من أنوثتها فإن كان هذا الحال اليوم فليس ببعيد تصوّر مثل ذلك في امرأة جاهلية. ولا يوجد عالِم بالسيرة يستطيع الجزم بأن كل التفاصيل المهمة قد نقلها الرواة أو كل ما نقله الرواة قد حُفِظ، ولا ندري لعل بعض التفاصيل موجود في المخطوطات التي لم تُطبَع بعد أو المخطوطات التي سُرقت أو التي أُحرقت أو ضاعت لسبب أو لآخر. إلا أن مثل هذه القتلة القبيحة لا تصدر من مسلم ولم تصدر إلا من باب العين بالعين، كأن يقتل المجرم بريئاً قتلة قبيحة فترُدّ عليه عدلاً على أساس "جزاء سيئة سيئة مثلها".

٦-القدر المقطوع به هو أن تصوير الحلبي بأن قتل أم قرفة عموماً أو قتلها بشقّها نصفين خصوصاً كان فقط من أجل أنها كانت {تسب النبي} هو كذب وافتراء لا ريب فيه، وإن صدق الحلبي وغيره فإن النبي ومن أرسله النبي يستحق أكثر من السب حاشا لله، وقد كذبوا واساؤوا الرواية والتصوير والربط إن كانت نيتهم حسنة ولا أراها حسنة بل هم جهلة في زمن مظلم وأرادوا الدفاع عن مذاهب مظلمة مثلهم فصوّروا النبي بصورة قبيحة تناسب نفوسهم ولا تناسب النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

لم ينقل الحلبي رواية عن النبي أو عن زيد بن حارثة أن قتل أم قرفة كانت من أجل أنها كانت تسب النبي. وحتى طريقة كتابة الحلبي تدل على أنه ذكر ذلك من عند نفسه، لأن عبارته

جاءت هكذا {فأمر زيد بن حارثة أن تُقتَل أم قرفة أي لأنها كنت تسب النبي} فكلمة {أي} تفسير وما بعدها من عنده أو من عند صاحب رأي آخر، وأما الرواية نفسها فخالية من هذه العبارة، ولم يذكر عليها دليلاً لا صريحاً ولا ضعيفاً.

كل ما مضى من بداية عدوان بني فزارة على زيد وأصحابه، على أنفسهم وأموالهم. ثم أمر أم قرفة أولادها وأولاد أولادها بغزو المدينة وقتل النبي، وهو أمر من العدوان بمكان ويدلّك على شدّة كراهية أم قرفة للنبي كراهية قتل لا كراهية مزاج حتى ضحّت وخاطرت بأولادها وأولاد أولادها ليقتلوا النبي في عقر داره. كل هذا لم يجعله أصحاب تفسير السيرة هؤلاء أساساً لرسم صورة عادلة عاقلة للنبي والمسلمين، بل خلطوه ولخبطوه وخربطوه بنقول مختلفة وبآراء مظلمة. لذلك يجب علينا كتابة سيرة النبي من جديد، بتنقية المعلومات الصحيحة المنقولة فعلاً، لكن مع تنقية تلك المعلومات وغربلتها بحسب المعروف بشكل عام من الأنماط الثابتة للقرءان وعمل النبي في السيرة، وردّ الشاذ إلى المعروف الثابت، وردّ المجهول إلى المعلوم، ورد المشكوك فيه إلى المقطوع به، ورد ما يُحتمَل قبحه إلى ما عُرِف يقيناً أصل حسنه.

أما عن هوس الحلبي وغيره بإلصاق تهمة القتل على الكلام بالنبي عليه الصلاة والسلام، بحجّة أن الذي يسبّ النبي يستحق القتل، فهذا ليس فقط افتراء، بل إن كنّا سنطبّق رأيهم هذا فأوّل مَن يستحقّ القتل سيكون هم أنفسهم لأنه لم يُسَبّ النبي بمثل ما سبّوه به حين نسبوا إليه هذه الفظائع، ولم يتسبب بسبّ الناس للنبي أحد كما تسببوا هم بنقل سيرته وأحاديثه بهذه الصورة المخالفة للقرءان والمخالفة لما ثبت من سيرته والمخالفة أيضاً لما نراه في أتباعه الصادقين من الأولياء والصالحين الذين في نفوسهم من العدل والعقل والرحمة ما يمنعهم عن ارتكاب مثل تلك الأمور وهم إنما نالوا الولاية بصدق محبة النبي واتباعه والإيمان بكلامه ونوره وما كان لولي أن يكون أرقى عقلاً وخُلقاً من النبي.

الحاصل: قتل أم قرفة كانت لأنها جهزت أولادها وأمرتهم بقتل النبي عدواناً، وقتلها بتلك الطريقة المقرفة إن صحّ فلابد أنه كان عدلاً لأنها قتلت أحداً بنفس تلك الطريقة. ولا علاقة من قريب أو من بعيد لسبّها النبي بالألفاظ فقط بقتلها.

...

تعلّم كتاب الله فيه على الأقل ثلاث منافع كبرى لا تُنال بغير ذلك:

الأولى، جريان عقلك في الأمر الإلهي. العقل عادةً يجري إما في أمر بدني أو اجتماعي أو طبيعي، لأن هذه الثلاثة منافذ العقل الخارجية. ولا طريق لما فوق الطبيعة والمجتمع والبدن عبر هذه الثلاثة ذاتها. من هنا نزلت الكلمة الإلهية حتى تفتح باباً للعقل في أمر ربه.

الثانية، معرفة نفسك الخالدة وأحكام دارها الأبدية. أنت تعرف شيئاً عن أحكام بدنك (ماذا تأكل وأين تذهب للعلاج)، وعن مجتمعك (ماذا تلبس وكيف تكسب عيشك)، وعن الطبيعة (قانون الجاذبية مثلاً فلا تُلقي بنفسك من فوق العمارة على أمل الطيران بيديك). لكن ماذا تعرف عن نفسك؟ ليس مزاجك، لكن نفسك الخالدة، ومجتمعها الأبدي جنةً وناراً، وطبيعتها السرمدية عند ربها؟ هذا ما يُعلّمه القرءان لمن سعى لتعلّمه بإذن الله. ولا طريق لهذا العلم بالنفس في الأرض إلا عبر مرآة كتاب الله.

الثالثة، تكليم ربك الحي وتكليمه لك. الله تعالى يتكلم مع قارئ كتابه بالقلب، يوحي له من وراء حجاب الآيات، ويوصل له ما يريده منه وبه، ويجعله يسمع كلامه الحي بالاتصال بالوحي. الوحي، واو الجمع واسم حي، الواو تدل على اجتماعك بربك وهو الحي الآن. فالقرءان يشبه الهاتف، الذي تتصل به بربك ويتواصل به معك.

إذن، كتاب الله باب الحضرة الإلهية ومرآة النفس وهاتف الحضرة الربانية. هذه ثلاث منافع لا ينالها أهل الدنيا ولو كانت لهم أعظم أبدان وملكوا كل مجتمعات الأرض واستخدموا الطبيعة من أولها إلى آخرها. وواحدة منها خير من الدنيا وما فيها.

...

الاعتماد على الله أساس أعمال النفس حين تجري في العوالم طاعةً لأمر الله.
الأمر قد يأتي بعمل شيء فيه بالنسبة لنظرتك المحدودة مخاطر ومجهولات وأمور لا تستطيع التحكم فيها. والنفس تفكر بالعواقب، فما كانت عاقبته راحة وبسط اعتبرته خيراً، وإلا فهو شر. فلما يأتي أمر رباني يبدو حاضره مليئاً بالتعب والقبض ستعتبره النفس بادئ ذي بدء شراً وستكرهه لذلك. هنا تقع النفوس في العصيان. وهنا يأتي الاعتماد على الله.
الاعتماد معناه ما تراه الآن كشر سيجعل الله في باطنه خيراً الآن وسيجعل عاقبته خيراً أعظم من خير العصيان المتوهم.
الاعتماد عليه لا معنى له إلا إن كنت ترى أمامك ناراً وهو تعالى يقول لك امشِ عبرها وسأجعلها عليك برداً وسلاماً، فتثق بكلامه أكثر مما تثق بحواسك وذهنك، بناء على أن ما تراه

بحواسك هو خلقه تعالى وقوة ذهنك أقل من جزء من قطرة من بحار حكمته، والعوالم كلها بالنسبة لله كصورة تتخيلها أنت وتملكها تماماً بذلك وهي رهينة إرادتك لحظة بلحظة بل الأمر أقرب من ذلك وهذا تشبيه وآية منك له سبحانه.
الاعتماد على الله يعني تقديم العقل على الحس، والكلمة على الصورة، والدين على الدنيا، والآخرة على الأولى، والنفس على البدن.
المصائب التي تتوقعها في طريق طاعة الله تشبه المجسمات الضوئية (الهولوغرام) الذي تحسبه جسماً صلباً من بعيد لكن إذا مشيت خلاله ستعبره ولن يؤثر فيك شيئاً، هي مجرد تخويف لسجناء الحس وتمييز لهم عن طُلَقاء النفس، فاعبر ولا تخف "لا تخاف دَرَكاً ولا تخشى" وقل إذا جاءك الوسواس من داخلك وخارجك يخوفك من الهلاك"كلا إن معي ربي سيهدين" و "حسبنا الله ونعمَ الوكيل".

...

من أكبر مهام النبي هي (لتُخرِجَ الناس من الظلمات إلى النور) ما معنى ذلك؟

العالَم ينقسم إلى ظاهر وباطن. الظاهر هو الخلق، الباطن هو الجعل. الخلق ينقسم إلى سماوات وأرض، الجعل ينقسم إلى ظلمات ونور. قال القرءان "الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور".

البدن من الخلق، النفس من الجعل. فالنفس تقوم في الظلمات، كل النفوس قائمة كأصل في الظلمات والنور طارئ عليها من الله كما قال القرءان "الله نور..يهدي الله لنوره...مَن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور"، بالتالي كل نفس في ظلمة وهي فقيرة ذاتياً إلى نور الله "الله الغني وأنتم الفقراء".

للانتقال من الظلمات إلى النور لابد من إشراق نور الله على النفس. الآن، نور الله يُشرِق إما مُجَرَّداً وإما من وراء حجاب وإما برسول. فالنفوس لها ثلاث درجات كلية بسبب هذه الأنماط الثلاثة من الإشراق الإلهي.

بالنسبة لعامّة الناس، الرسول هو مظهر نور الله لهم، وبدونه سيبقون في الظلمات. لذلك قال له "لتُخرِج الناس من الظلمات إلى النور"، وقال الله لموسى "أخرِج قومك من الظلمات إلى النور".

النبي لا يزال يقوم بعمل إخراج الناس من الظلمات إلى النور. وله الآن مقام في مستوى الظلمات ومقام في الجنة الوسطى. فمقامه في الظلمات تجده هكذا: يأتي إلى النفس فيتصل بها بضمّة مثلاً فتدخل النفس عبر قلبه كبوابة إلى بحر النور الأعلى. ومقامه في الجنة الوسطى التي تحت مستوى العرش الأعلى، تجده هكذا: تحضر النفس المتجسدة عنده فيقرأ عليها القرءان وبقوة كلمته تعرج النفس إلى نور العرش وفيوضاته عليها.

النبي حي قائم الآن، ينفع الله به الناس ويخرجهم به إلى النور الحقيقي، لا بواسطة لغة تدل على النور الحقيقي بل يُخرجها إلى جوهر النور الواقعي ذاته. فتصبح النفس مستنيرة بنور الله، حقاً وواقعاً.

صلِّ على النبي، وتوسّل إلى الله بالصلاة عليه، واعلم أنه حي قائم الآن ليُخرجك من الظلمات الواقعية لا اللغوية والذهنية إلى النور الحقيقي الوجودي ذوقاً، بإذن الله ورحمته.

...

ادرس هذه الصورة ففيها الأمر كله:

مُثَلَّث داخله دائرة يخرج منها أربعة أسهم للجهات الأربعة وأربعة خطوط.

أما المثلث فعن حياة المادة: ضلع البدن، وضلع المجتمع، وضلع الطبيعة.

أما الشكل داخلها فعن حياة النفس: الدائرة المركزية التأمل، السهم الشمالي الذكّر، السهم الجنوبي الدعاء، السهم الشرقي المتجه للأعلى الفكر، السهم الغربي المتجه للأدنى الخيال. ثم الخط الشمال شرقي الخلوة، الخط الشمال غربي القراءة، الخط الجنوب شرقي الكتابة، الخط الجنوب غربي المجلس.

...

(إذ قال الله يا عيسى ابن مريم) في الباطن، هذا قول من الله لكل مؤمن تحققت نفسه بمَثَل عيسى بن مريم، بأن يكون عقله عيسى الناشىء من قلبه المريمي الأمّي الذي فرّغ ذاته لاستقبال النور المُشرِق من لدن الله وحده.

(اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك) نعمته عليه كلمة الحق التي صار يقولها، ونعمته على والدته توفيقه لتفريغ قلبه وعصمته من العقائد الباطلة ونفخه الروح فيه. هذه في الجملة. وذكر النعمة هو الشكر، وهو أول وأعلى وأدوم تكليف بل تشريف من الله لعبده الكامل العبودية.

(إذ أيّدتك بروح القدس تُكلِّم الناس في المهد وكهلا) نعمة الكلام الروحي، خلافاً للكلام البشري والدنيوي النابع من الهوى والظن. هنا الكلام أصله التأييد الإلهي، وفرعه روح القدس، وثمرته الكلام الظاهر.

(وإذ علّمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) نعمة التعليم اللدني، خلافاً للتعليم البشري والطبيعي التدريجي الخارجي والظني والمبني على الرأي المكدَّر. الكتاب علم الحروف "الر كتاب"، الحكمة علم الأمر المبني على الفكر "ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة"، التوراة الأمثال الإنسانية "ذلك مثلهم في التوراة"، الإنجيل الأمثال الآفاقية "ومثلهم في الإنجيل كزرع". فالكتاب والحكمة تجريد العقل، والتوراة والإنجيل تجسيد المَثَل.

(وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني) نعمة ضرب الأمثال المستقيمة، خلافاً لأمثال أهل الضلال والاعوجاج. فالطين مظاهر السماء والأرض، والطير الملائكة وهم العقول المجردة النورانية، والخلق بالقول بعقل، وكهيئة جعل المظهر بإزاء الجوهر بنحو متناسب علماً وحقاً. بإذن الله فيصبح عيسى مصدراً للأمثال وليس فقط مستقبلاً للأمثال من خارجه.
(فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني) نفخ روح الحق، وكذلك نفخ كلام الله الذي يدل على صحة المَثَل المضروب.
فهنا ثلاثة أمور، طين وهيئة طير ونفخ. كما أن ءادم طين ونفس ونفخة روح. فجعل عيسى مجلى لفعل الله، فهو خليفة الله فهو فاعل من حيث الخلق والنفخ وهو عبد من حيث التقيّد بالموجودات والإذن الإلهي، فهو الخليفة الجامع بين مظهر الربوبية وجوهر العبودية.
(وتُبرىء الأكمه والأبرص بإذني) النعمة السابقة الظهور باسم الخالق المصوّر المحيي، وهنا الظهور باسم البارىء الشافي. الأكمه مَن لا يرى آيات الله ولا يحسن فهمها من كتابه، وببيان عيسى يراها، فهو الكافر جهلاً. الأبرص المنافق، الذي يجمع في نفسه بين الميل للآخرة والميل للدنيا فلم يصبح الامر حنيفاً لله وللدين بعد، فيبرأ بجعله يرى كيف أن السعي في طريق الله يجمع بين حسنة الدنيا وحسنة الآخرة وكيف أن الدنيا صورة الآخرة، فيستقيم.

(وإذ تُخرِجِ الموتى بإذني) موتى القلب تُخرجهم من الجهل بحقائق كلام الله إلى العلم بها، وموتى النفس تُخرجهم من العبودية للبشر إلى الحرية لله، وموتى العقل تُخرجهم من ظلمة عدم فقه الأمثال إلى فقهها.

(وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات) لابد لكل عيسى من محاولة قتله وقمعه بسبب كلامه، فهنا نعمة الحفظ والإيواء كما قال "وجعلنا ابن مريم وأمه ءاية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين" الربوة مكان مرتفع فهي أرض أعلى من بقية الأراضي لا يصل إليه فيها الظالمين من بني إسرائيل، ويستطيع فيها البيان بلا حد، ويجد فيها قراره النفسي ومعينه الجسماني.
(فقال الذين كفروا منهم) من بني إسرائيل كفرة وغير كفرة، كما هو حال المسلمين اليوم الذين هم تأويل بني إسرائيل، فمنهم الذين كفروا ومنهم الذين ءامنوا وإن كانوا من نفس الأمة.
(إن هذا) بيان عيسى، بيناته يرونها مجرد..
(سحر مبين) خيالات رجل ضال مُضِل يجب قتله لتخليص الناس من فتنته "إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم".

إذن هنا لدينا خمس نِعَم أصلية بدأت كل واحدة بكلمة (إذ)، فكما قال الله "اذكر نعمتي" وكلمة "نعمتي" خمسة حروف فذكر الله خمس نعم أصلية. ثم لهذه الخمس فروع فصّلها ككون التأييد بروح القدس فرعه تكليم الناس وفرع فرعه تكليمهم في المهد وكهلا. فكل نعمة شجرة، بها جذر من فعل الله، كالتأييد والإذن والكف، ولها فرع من مظهر فعل الله كروح القدس والربوة، وفرع فرع أو أغصان ككون التعليم له أربعة أغصان الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل. النعمة شجرة، ومجموع النعم جنة، ومكان الجنة الإنسان ذاته وما يفيض منه. فالحمد لله وحده لا شريك له.

...

(وِرد الحمد من أوراد طريقتنا)

١-اقرأ الفاتحة.

٢-(الحمد لله رب العالمين) ٣٣ مرة.

ثم قل (اللهم ربنا، نحمدك ونشكرك،
على كل ما أسبغته علينا من نِعَم ظاهرة وباطنة، لا يعدّها ولا يحصيها إلا أنت،

من غير حولٍ مِنّا ولا قوّة، لا إله إلا أنت)

٣-(الحمد لله الذي خلق وجَعَل) ٣٣ مرة.

ثم قل (الحمد لله لكل نِعَم الله، الحمد لله على قدر استحقاق الله، الحمد لله بِنَفسِ ذاتِ الله، الحمد لله الحمد لله الحمد لله)

٤-(الحمد لله الذي أنزلَ وهدانا) ٣٣ مرة.

ثم قل (اللهم لك الحمدُ على كل نِعَمِكَ وأفعالك،
ولك الحمد على كمال حسن أسمائك،
ولك الحمد على جلال وجهك وجمالك،
ولك الحمد أنك أنت أنت كما أنت،
حمداً كثيراً طيباً دائماً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك)

٥-(سبحان ربك رب العزّة عمّا يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين.)

قالت: شو قصدكم سيدي بطريقتنا ممكن توضيح اكثر لو تسمح.
قلت: طريقتي يعني ورد فتحه الله لي. قلت (طريقتنا) يعني من يحب السلوك معي فليقرا ما اقرأه.

...

(واذكر ربك في نفسك تضرّعاً وخيفةً ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين)

هذا كلام أصله للنبي، فكيف يقال للنبي (ولا تكن من الغافلين) وهو الغارق في الذكر مع الأنفاس؟

الجواب: يجب فهم كلمات ومقاطع الآية في سياق الآية ذاتها. الآية بدأت بأمر (اذكر ربك) ولم تقل "اذكر الله" أو "اذكرهُ" مثلاً. بل حددت الذكر ب(ربك) فهو ذكر للربوبية تحديداً. وفي

الربوبية الفرق بين الرب والعبد. هنا قد تقع الغفلة من النبي ومن الولي فضلاً عمن دونهما في المعرفة الإلهية. لماذا؟ لأن النبي والولي مستغرق في ذكر الهوية الأحدية والوحدة الإلهية القهارية المطلقة. أصل ذكره هنا. (قل هو الله أحد). ومن هنا اسمه (أحمد) قبل خلقه في الأرض، لأنه المستغرق في ذكر (أحد) وهو المقام الذي ورثه بلال بعد ذلك بذكر "أحد أحد"، فمحمد هو الميم الغارق في اسم الأحد. ولا غفلة له هنا. لكن الغفلة تطرأ على ذكر الربوبية لا ذكر الأحدية. في الأحدية لا رب ولا عبد، لا فوق ولا تحت، لا إيمان ولا كفر، لا طريقة ولا شريعة، لا دعوة ولا جاهلية، لا شيء غير "هو الأول والآخر والظاهر والباطن". المستغرق في الأحدية قد يغفل عن الربوبية، ولما كانت الدنيا دار ابتلاء وفرق وامتحان وأسباب فوجب ذكر الله من حيث الربوبية. ولما كان الرسول مشغولاً بالرسالة والخلق وإمدادهم بسبب الشريعة والطريقة فكان لابد من ذكره للربوبية. ومن هنا قال له بعد أمره بتلاوة كتاب ربه، "اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم" فشغله بالربوبية من جهتين، من جهة تلاوة كتابها ومن جهة صحبة دعاتها، فأمره بصبر نفسه معهم لأن نفسه تواقة للأحدية والخروج من رق الثنائيات والأضداد وملاحظة الفرق ما بين الرب والعبد. ومن هنا قيل للنفوس "ألستُ بربكم" تقريراً للربوبية، وأما الأحدية والوحدة القهارية فلا كلام في إثباتها في هذا المقام.

لفهم آية، قسّمها إلى مقاطعها، ثم صنّف مقاطعها، ثم انظر في كل مقطع على حدة، ثم اجمع بين المقاطع وانظر كيف يقيد بعضها بعضاً في المعنى ويبيّن بعضها بعضاً.

لاحظ هذه الآية مثلاً:

١-(اذكر ربك) فذكر الفرقان بين الرب والعبد.

٢-(في نفسك) فذكر الفرقان بين ما في نفسك وما هو خارج نفسك.

٣-(تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول) ثنائية أخرى.

٤-(بالغدو والآصال) ثنائية أخرى.

٥-(ولا تكن من الغافلين) فأثبت وجود غافل وغير غافل.

إذن: الآية كلها ثنائيات، خمسة تحديداً. وفيها ذكر النفس والجسم، وذكر المكان والزمان، وذكر الفرد والجماعة. وهذه كلها علامات الوجود في العالَم. فالآية جذب للسر الذاتي من استغراقه في ذكر الأحدية المطلقة إلى التشكل في العالَم والظهور فيه بحسب قيوده. لذلك ولثقل الموضوع على القلب الأحمدي قال له "لا تكن من الغافلين"، أهل ذكر الأحدية من الغافلين عن

ذكر الربوبية وما يتبعها من كل ثنائية وضدية. فرق كبير بين من غفل بالله عن الله، ومن غفل عن الله بالدنيا. جلّ أحمد عن أن يكون من الغافلين عن الله بالدنيا.

وكذلك الأمر في آية (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرءان وإن كنت من قبله لمن الغافلين). الغفلة هنا عن القصص، والقصص عن الخلق والتغيرات وبقية الوجود المقيد الذي هو موضوع القصص. القلب الأحمدي في غفلة عن القصص، وليس عن ذات الله تعالى. يشبه الأمر شخص سماوي ينظر في عين الشمس، لكن لما كان الذين يعيشون في ظلمة الكهوف يحتاجون إلى ضوء الشموع تم لفت نظر ذلك الشخص إلى الهبوط لأهل الكهوف المظلمة حتى يخرج لهم بعض أشعة الشمس المحبوسة في الحطب والشجر ويعلمهم كيف يحصلون على الضوء الشمسي الكامن فيها، فهذا الشخص السماوي الأصل غافل عن الشموع ليس لأنه كأهل الظلمات بل هو غافل بذات ضوء الشمس عن ضوء الشمع. فالنبي كان غافلاً بالوحدة عن الكثرة، وليس غافلاً بالكثرة عن الوحدة. لذلك دقق في الآية فهي عن الكثرة والجمع:

١-(نحن نقص) جمع وجمع.

٢-(أحسن القصص) "أحسن" تدل على درجات في الحسن ودركات السوء فهي كثرة، و "القصص" كثرة ظاهرة.

٣-(بما أوحينا) "نا" جمع.

٤-(هذا القرءان) القرءان من القرء وهو الجمع.

الحاصل: الغافل عن الربوبية والمظاهر الخلقية بمشاهدة الأحدية الإلهية والوحدة القهارية، ليس كالغافل بالدنيا عن الله تعالى. فغافل لأنه غارق في النور، وغافل لأنه حبيس الظلمات.

...

من أساليب الدجالين: الكلام بسرعة وعاطفة مع تغيير المواضيع بسرعة. لأنهم يريدون من المستمع أن لا يجد فرصة لكي يميّز ويحلل ويدقق فيما يقولونه. لذلك جاءت أوامر الله للنبي بقراءة القرءان (على مُكث) وعدم العجلة وفرّق القرءان إلى سور وآيات ذات طول معقول وقابل للتدقيق فيها كل واحدة على حدة ومعظم الآيات جُمَل قصيرة جداً أو متوسطة، وأرشد المستمعين إلى الخلوة بأنفسهم ومع واحد من أصحابهم المتفكرين ودلهم على كيفية الهدوء للنظر والتفكر لمعرفة حقيقة دعوى النبي.

...

فرق ما بين كلام الذهن المادي وكلام المتدين السطحي وكلام العارف الرباني، هو كالفرق ما بين الروبوت والجثة الميتة والجسم الحيوي.

...

أحد أهم أسباب تأويلنا للآيات القرءانية على أنها تشير إلى العلم والذكر والنفس بدلاً من الجسم فقط، لأن الكافر والمؤمن والخنزير والشيخ والجاهلي والمسلم والطفل والرجل كل أحد في الطبيعة يعرف كيف يُحصّل أغراض جسمه ولا حاجة للوحي من أجل ذلك، ما يحتاج إلى الناس هو الدلالة على أمر النفس ورؤية حقائق الروح والعلم والغيب.

خذ مثلاً قوله تعالى (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه): فما معنى الأمر بالمشي والأكل؟ إن قلت معناه فقط مشي الجسم وأكل الجسم، فهذا تحصيل لحاصل، حتى الكلب والجاهل يمشون ويأكلون بهذا المعنى ولا يحتاجون إلى وحي لتنبيههم عليه، بل الطفل يخرج من بطن أمه وهو يعلم كيف يلتقم الثدي ليأكل. لذلك أكثر الناس معرضون عن القرءان، لأنهم يعتقدونه مجرد كلام عن الأجسام فيجدونه عموماً إما يدل على أمور يعرفونها بدون القرءان وإما يجدونه في قصصه مثلاً يتحدث عن أمور لا يجدونها في عالمهم الجسماني كانقلاب العصا حية فيهجرونه. وقس على ذلك بقية الآيات.

...

أدخلني في الأمر وأنا في سن ١٧، فقضيت ٣ سنوات في السر، وظهرت في ٢٠، وقضيت ١٣ سنة في الجهر النسبي، وهاجرت في رأس ٣٤ وفيها الجهر الكلي. ومن يريد الفهم يفهمه الله.

...

للسماء أبواب وللجنة أبواب، والطالب يطرقها ليُفتَح له. فما هو طرقها؟ لاحظ حركة لسانك حين تقول (لا إله إلا الله. محمد رسول الله)، فإن نطقك بحروف اللام والدال والرا فيه طرق اللسان للجهة العليا داخل فمك، فاللسان يمثّلك والجهة العليا تمثّل باب السماء، والذكّر هو الطرق. وبذكرك كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فإنك ستطرق ٨ مرات، ٤ مرات بلا إله إلا الله، و ٤ مرات بمحمد رسول الله، ٨ مرات بعدد أبواب الجنة الثمانية، فلذلك هذه الكلمة المقدسة هي مفتاح الجنة.

فإن قلت: لكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال "من قال لا إله إلا الله مُخلصاً دخل الجنة"، ولم يشترط قول محمد رسول الله. قلنا: نعم لأن محمد رسول الله كامنة داخل لا إله إلا الله، فالحقيقة المحمدية تجلي نور الوحدة الإلهية، (لا إله إلا الله) من مستوى التعالي بينما (محمد

رسول الله) من مستوى التجلي والتجلي إنما هو تجلي المتعالي فهو كامن فيه. فمن قال لا إله إلا الله "مخلصاً" سيدله الله ويهديه لنور (محمد رسول الله) سواء هداه لنور محمد الرسول تجريداً وغيباً حتى إن لم يعرف الألفاظ العربية والشخصية التاريخية، أو هداه للتجريد الغيبي والتجسيد العربي معاً، والعبرة بالنور المحمدي لا بالشخص العربي الذي يموت ويُقتَل، فنور محمد رسول الله عالي "كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد"، وهذا النور هو المقصود ولم ينفع نفس أبي لهب رؤية شخص محمد مع جهله بنوره.

حروف الطرق ثلاثة: اللام والدال والرا.
لاحظ أن عدد حروف أسماء هذه الثلاثة حروف هو أيضاً ثمانية بعدد أبواب الجنة؛ لأن لام ثلاثة (ل ا م)، دال ثلاثة، را اثنان.
ثم لاحظ معنى اسم كل حرف؛ (لام) من اللوم وهو مقام عالي للنفس "لا أُقسِم بيوم القيامة. ولا أُقسم بالنفس اللوامة"، فمَن لام نفسه بدأت قيامته، ومن هنا جعل ابن عربي الملامتية أشرف الصوفية، ولذلك هذا الحرف له ست طرقات من الثمانية، والستة عدد الكمال لأنه مكون من الواحد والاثنين والثلاثة وهم مبادىء العدد كله أصلاً وزوجاً وفرداً، وفي كلمة (لا إله إلا الله) الطرق كله بحرف اللام فقط. وأما حرف (دال) من اسم (محمد) فهو يدل على عمل محمد وهو أنه دال على الله والجنة. وأما حرف (را) من اسم (رسول) فهو من الرؤية لأن الرسول هو الذي يجعلك ترى النور. فطرق أبواب الجنة يكون باللوم وبالدليل وبالرؤية، فاللوم يُكمّل النفس والدليل يهدي العقل والرؤية يقين القلب.

قالت: اخوي سلطان ما دليلك من القرآن ان ابواب الجنه.
قلت: لأنه قال عن جهنم "لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم"، فنظرنا في ما يشهد للإنسان أو عليه يوم الحساب فوجدناه ثمانية: ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وسمعهم وبصرهم وفؤادهم. فمن استقامت فيه هذه الثمانية دخل الجنة، فهي أبوابها.
أما أصحاب جهنم فأبوابهم سبعة لأنهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون بأفئدتهم. فلهم سبعة أبواب لأنهم الذين انحصروا في الجسم والجسم له سبعة أعضاء كلية: الرأس والبطن والظهر واليدان والرجلان.

...

جواهر الأذكار:

١-الله

٢-هو الله
٣-بسم الله
٤-سبحان الله
٥-الحمد لله
٦-لا إله إلا الله
٧-الله أكبر
٨-ما شاء الله
٩-قوة إلا بالله
١٠-تبارك الله
١١-تعالى الله
١٢-ربنا الله
١٣-حسبنا الله
١٤-إنا لله
١٥-استغفر الله
...

معاوية بن أبي سفيان: ما سبب كل هذه الضجة حوله؟ لماذا تُنفق قناة سعودية عشرات الملايين لتلميع صورته بمسلسل رمضاني، ولماذا من أول يوم والدولة الوهابية الجذور تمجّد في معاوية ويزيد ابنه؟

يخطىء كثيراً من يظن أن سبب ذلك "حب الصحابة"، فهؤلاء لا يبالون لا بالصحابة ولا بأمهات الصحابة. ويخطىء أكثر من يظن أن هؤلاء يحبون غير أنفسهم ويراعون غير مصلحتهم السياسية الحالية المادية. الذي يظن أنهم "نواصب" يكرهون علي وأهل البيت ولذلك يقومون بذلك، أيضاً مخطىء أو لم يشرح الأمر على وجهه، فالنصب يفترض نوعاً من الإيمان بشيء ديني وهؤلاء لا يؤمنون إلا بمُلكهم.

السبب بكل بساطة كالتالي: معاوية أول مَن أسس الملكية باسم الإسلام، وفعّل قاعدة توريث الملك في أبناء الملك وبحسب هوى الملك، وقاتل وذبح واغتال من أجل ترسيخ ملكه. باختصار معاوية أول فرعون مكتمل الأركان ظهر في الإسلام. فالآن، إن استطاعوا جعل معاوية شخصاً مسلماً مقبولاً في الدين ولا تناقض بين أفعاله هذه والإسلام، فمعنى ذلك أن الفرعنة من

الإسلام، وهو المطلوب الذي يريدون إثباته في قلوب الناس. وهذا بالضبط ما تتوجه له كل الألسنة والأقلام من قديم الزمان. ليس حباً في معاوية، لكن حباً في الملكية.

توسلوا لذلك بأمور:
على رأسها فكرة قدسية "الصحابة" هكذا بالمطلق وطبعاً لم يبالوا لا بقرءان ولا بحديث صحيح ولا بعقل ولا بعدل إذا عارض فكرتهم تلك، مرة أخرى لأن أصل وضع الفكرة ليس دينياً علمياً لكنه سياسي بحت. الحجة هكذا: كل صحابي مقدس، المقدس لا يُعتَرَض عليه ويجب قبوله والترضي عليه، معاوية صحابي، فمعاوية مقدس. إلى هنا الحجة المنصوص عليها. لكن ما لا يتلفظون به جهاراً نهاراً عادةً هو ما يريدونه من هذه الحجة الفاسدة، وهو التالي: معاوية صحابي، معاوية أسس النظام الملكي القهري، إذن النظام الملكي مقدس وإسلامي. إذن الدفاع عن معاوية ويزيد بالتبع المُراد منه أمر باطن أصلي وأمر ظاهر فرعي. الفرع إثبات كرامة معاوية، الأصل أسلمة
الملكية. لذلك ستجد التركيز على معاوية ويزيد، يعني الملك وولي العهد. ولن تجد دفاعاً شرساً عن معاوية بن يزيد الذي رفض الملك بعد موت أبيه الخبيث، ولا ملوك بني أمية وبني العباس عموماً، كل هؤلاء فضول لا داعي له. يكفي تأسيس قاعدة الملكية على صلاح وحجية وكرامة معاوية ويزيد، أو على الأقل معاوية، وبعد ذلك ليكن ما يكون فقد تم الغرض.

من الانحراف عن جوهر القضية، ما تراه من دخول الكثير من الناس في قضايا جانبية، مثل كون النبي دعا على معاوية فقال "لا أشبع الله بطنه" وفعلاً كان يأكل سبع مرات في اليوم ولا يشبع حتى تشوه جسمه (نعم باطن هذه الحجة هي أن النبي قال في حديث آخر ما حاصله أن علامة المؤمن الأكل القليل في معي واحد، بينما علامة الكافر الأكل الكثير في سبعة أمعاء، بالتالي يكون معاوية كافراً بهذا). أو استلحاق زياد مع رده لحكم النبي "الولد للفراش" (نعم باطن هذا أن معاوية يجهر برد حكم النبي وهو كفر). وهكذا قضايا كثيرة كلها فروع للأصل الخبيث للملكية. فكل ما فعله معاوية من جرائم كقتل حجر بن عدي وأصحابه الأولياء، ودفع الرشاوى، وإشعال الحروب في الأمة، وسب علي على المنابر، وكثير وكل واحدة منها يكفي للحكم بكفره، لكن مع ذلك كلها ثمار للشجرة الملعونة للمَلَكية فإنه بسلطته هذه وتجبره فعل كل تلك الأفاعيل. وأرى أن كثير من هؤلاء ممن ينتقد معاوية على جرائمه الفرعية، هو نفسه مؤيد للملكية لكن يريدها لنفسه أو طائفته أو عائلة أخرى. فيكون خلافهم مع معاوية فرعي وليس أصلياً.

الخلاصة: تحويل الشورى والمساواة بين المسلمين إلى ملكية واستعباد المسلمين، هو خاصية معاوية الكبرى. والدفاع عنه مجرد حجاب على الدفاع عن الملكية. لكن بما أن الملكية أقبح من أن تُمرر بصورتها الفجة، فلابد من تزيينها بألفاظ مثل "صحابة..ولي أمر..سلف الأمة..الخ". هؤلاء الملاحدة لا علاقة لهم لا بإسلام ولا قرءان، هؤلاء وبكل حرفية مجرد جنود من حزب الشيطان وغرضهم استعباد المسلمين وإذلال المؤمنين وتشويه نفوسهم بذل الفرعنة وقهر أرواحهم ببطش الجبرية.

...

نقل نصاً من كتابي الخواطر الخامسة عن وجوب كون الإنسان إمام مأذون من الله حتى يتكلم في القرءان فسأل: ازاى نقدر نميز إذا كنا بنتكلم في القرءان على أننا أئمة أو لا؟ وازاى نعرف اذا كان الله أذن لنا أننا نتكلم او لأ؟ هل الأذن زي الدعاء؟ يعني أنت كنت كاتب في الأقوال على ما أظن "انه ما اذن لك أن تدعوه إلا لأنه قد استجاب لك".. يعني هعرف ازاى، اني لست {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد}. علشان مبقاش من {الاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا}.

قلت: إذا أذن لك بالإذن الخاص فلن تحتاج أن تسأل هذا السؤال. الإذن العام مبني على أن تقول ما لك به علم فقط فأنت إمام من هذه الناحية وفي هذه النقطة المعلومة لك.

...

قال: فيه حديث فيما معناه: "ان القرءان بيشفع للناس في القبر ويوم القيامة". هو مش القرءان كلام الله ومش كائن مستقل؟ ازاى هيشفع للى بيقرأوه وهو عبارة عن علم الله مش مخلوق من مخلوقاته؟

أنت ذكرت الدليل على أنه مخلوق من مخلوقاته! نعم، لذلك القرءان حين يشفع سيقول لله "يا رب"! اقرأ الحديث. "كذلك أوحينا إليك روحاً"، وقال في الروح "يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا مَن أذن له الرحمن".

قلت: أنت ذكرت الدليل على أنه مخلوق من مخلوقاته! نعم، لذلك القرءان حين يشفع سيقول لله "يا رب"! اقرأ الحديث. "كذلك أوحينا إليك روحاً"، وقال في الروح "يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا مَن أذن له الرحمن".

قال: أنا ذكرت الدليل على انه مخلوق! فين؟ القرءان روح وشيء مستقل ولا كلام وعلم الله؟ وايه موضع "من أمرنا" في الآية الأولى {كذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا}؟ أنا في أسئلة مش عارف اصيغها بقالي ساعة مش عارف اكتب ايه! الحديث صحيح يعني والقرءان مخلوق، ولا مش مخلوق وجزء من الله -تحديدا علمه- وكونه روح فيتشابه مع {فإذا سويته ونفخت فيه من روحي} وده اللى يخليه قادر على الشفاعة؟

قلت: كون القرءان يشفع وحديث الشفاعة إذا تدبرته يبين لك أن القرءان روح الله والروح عبد من عباد الله وليس ذات الله لأن ذات الله فوق الروح والملائكة. لأن في حديث الشفاعة قول القرءان "يا رب". وكذلك في أحاديث أخرى أن القرءان يتمثل في صورة رجل ويمشي بين الأمم، وجلّ الله عن ذلك، لكن هذا مثل "أرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سوياً". علم الله يتجلى بالروح والكلام. لا يوجد شيء "مستقل" عن الله تعالى الواحد المحيط، لكنه موجود من موجودات الله وتجلياته النورانية العالية، إلا أنه عبد لله. "أمرنا" مثل الآية التي قبلها "يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا". فالروح "من أمر ربي"، وليس "ربي". هذا أولاً. ثانياً، الروح جوهره العلم. ثالثاً، الأمر له صفات تخالف الخلق بالمعنى السفلي للخلق، فالروح بالدقة في اللفظ هو من عالَم التكوين لا عالَم الخلق، يعني من مستوى "أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون"، هذا مستوى التكوين. تحته مستوى الخلق "في ستة أيام". فالتكوين عالَم الأمر، والتدريج لعالَم الخلق. وصفات أخرى متعلقة بالأمر مثل أنه وحدة "أمرنا واحدة"، ومستقر "كل أمر مستقر"، ونحوه ذلك، خلافاً للخلق الذي هو كثرة ومتغير.

...

قال: السلام، هو ايه الفرق بين "سنة الله" في آية زي {سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا} مثلا، و"سنت الله" {فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده}، وليه لما أنت بتكتب بتكتب "سنت الله" مش "سنة الله"؟ عموما، ايه الفرق بينهم؟

قلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. أنا بكتبها "سنت" لأني أريد التنبيه على الأمر الذي تنبهت أنت له هنا. وهو التنبيه على أن خط المصحف مؤسس على تعليم النبي، وليس على الرأي، وليس مجرد كتابة بحسب الأصوات لأن صوت وقراءة "سنت" و "سنة" واحد، فلو كان النبي كما يزعمون لم يكن معلمهم الخط وكيفية كتابة المصحف وكان يلقي اللفظ والصحابي

يخطه بحسب رأيه لوجب عدم التفريق بين "سنة" و "سنت". هذا أمر. الأمر الآخر هو التفريق الموضوعي. وهذا مبني على قراءة الآيات التي فيها ذكر سنة وسنت الله والنظر في الفرق الموضوعي بينها. هذه تحتاج دراسة ولم أقم بها بعد فلا أدري.

...

سألت عن مقالة وذكرت كلاماً في سؤالها تشرح فيه احتمالات فهمها ولا داعي لنقله والمهم

أني قلت: الذي لا يذكر الله فهو ميت. الذي يذكر الله فهو حي. وذكره لله سيجعله يرى الله هو الوجود الوحيد والفعال في كل شيء وسيتصرف له ويهديه وينصره ويعلمه.

سألت عن مقالتي عن الباطنية

فقالت: معليش استاذ ممكن تشرحلي كيف او ماهي اصول الباطنية .وكيف اقدر اعرفه وادققه ؟

قلت:كل أحد يعترف بأن الدين له باطن. لكن ما هو هذا الباطن تحديداً ؟ هنا يختلفون. مثلاً: نحن نصلي هذه الصلاة ذات الحركات والكلمات. هذا ظاهر نقوم به بأجسامنا. فهل له باطن؟ هل له قلب وروح ومعنى خفي غير هذه الحركات المادية؟ الكل يقول نعم. لكنهم يختلفون في تحديد معناه الباطن. فمثلاً، البعض يقول "الباطن هو الخشوع القلبي في الصلاة بالاستشعار العاطفي للقيام بين يدي الله تعالى". البعض الآخر يقول "الباطن هو رحلة المعراج بالروح التي قام بها النبي بالروح والجسد". البعض الثالث يقول "الباطن هو الاتصال بالإمام الرباني الذي هو خليفة رسول الله الشرعي". وهكذا وهكذا. فالكل يعترف أن صورة الصلاة ليست هي كل الصلاة. بل الصلاة لها صورة ظاهرية وحقيقة باطنية.

سألت عن آية "يخادعون أنفسهم وما يشعرون" وذكرت احتمالات

فقلت: (ما يشعرون) يعني ما يشعرون أنهم بيخدعوا أنفسهم. يحسبون أنهم على صلاح وهدى. فهنا (ما) نافية. لكن قد نقول (ما) هنا بمعنى يخدعون أنفسهم ويخدعون شعورهم. فيكون المعنى أنهم يؤثرون على مشاعرهم بكلماتهم الخاطئة ، فيتلون شعورهم بحسب ألفاظهم.

سألت بكلام كثير لا داعي له هنا والمهم أني أجبتها:

من يريد الصدق الله يفتح له بالحق بإذنه وفضله إن شاء. الكلام مع الناس قد ينفعهم وقد لا ينفعهم، هذه قضية أخرى.

سألت عن قيمة الأوراد فأجبتها:
الورد باب الفهم والذوق وحتى ترسخ المعاني في القلب. لا تناقض ضروري بين الذكر وبين الفهم.
...
سألني عن كيفية التحكم بالشهوة وهي يجب الاستغناء عنها.
فقلت: الأصل أننا نحيا لتطوير نفوسنا، فأبداننا ستموت ونفوسنا ستبقى، وحالة نفوسنا بعد الموت ستكون بحسب أعمالنا الروحية الآن. لذلك أعمال الطريقة الثمانية هي مركز اهتمامنا وأساس شغلنا في هذا العالَم، لأنها وسائل تطوير النفس يعني ترقّيها في درجات التنوير بإذن الله وفضل نوره سبحانه. الآن، لأننا لسنا مجرد نفوس بل لنا أجسام، فلابد من مراعاة أجسامنا أيضا. فالجسم قشرة النفس، والنفس هي اللب. والجسم مركب والنفس راكب. والجسم مجلى ومرآة ورمز النفس ولذلك لابد من أن يعكس جسمنا حال نفوسنا. لكل هذه الأبعاد ونحوها جاءت الشريعة للجسم حتى تعكس نور الطريقة التي جاءت للنفس. الشهوة دليل أنك حي وحيوي والحمد لله. فهذا ليس شراً إن كنت من أهل الطريقة. الله أمر الرسل والمؤمنين، والأحرار والعباد، أمر الكل بالزواج. ديننا دين زواج ليس فقط لقضاء الشهوة بل مثل كل شيء آخر في ديننا الإلهي له لب وقشر. لا تفكر بالاستغناء في هذا الباب. الاستغناء محله فضول الدنيا ومحرماتها والمشاغل الفارغة العبثية ونحو ذلك. أما ما أنت فيه فلابد منه. أنصحك بالتالي: اقرأ سورة يس بنية الفرج الحسن الجميل، ولا تأكل اللحوم ما استطعت، واستحم بماء بارد شديد البرودة ولو في آخر الاستحمام، ومارس الرياضة بانتظام، وادعُ الله ربك الرحيم أن يحل لك أمرك. واحذر كل الحذر من أي قضاء للشهوة بأي طريق غير طريق جماع امرأة بينكما تفاهم وحسن تواصل ليكن هذا همّك الأول ولا تعميك الشهوة عن تقييم المرأة والعلاقة بعقل يقظ.

فقال: و الله .. هيه مو بس الشهوة الجنسية (النفس) يا صديقي مليانة من حب الأكل و حب الشهرة و الكبر و الغرور و عشق الماديات و البحث عن الملذات الجسدية بأصنافها و انواعها و الله المستعان.

فقلت: كل هذه آثار عدم الاستغراق في أعمال الطريقة، فاشتغل بها وستذهب إن شاء الله سلبياتها شيئاً فشيئاً.

...

قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته استاذنا الفاضل بعد السؤال عن طيب خاطركم استوقفتني جملة في كتابكم(اثبات شرعية ومنفعة وضرورة الدعارة المنظمة) الفقرة الثانية (ويجب ان نذكر انه يوجد نظرية اسلامية لها تأويل خاص لما يظهر على انه احكام فقهية ظاهرية وتجعلها دلالة على امور معرفة وعرفانية باطنية وتفصيل هذه النظرية والاستدلال عليها له بحث خاص وانما اذكر هذا لاذكر بأن تحريم القران للزنا ونقضنا لتعريف الزنا كما هو السائد لا يعني اننا نقضنا تحريم القران للزنا(حاشا لله) وانما نحن نختلف مع هذا التعريف السائد للزنا) لو تكرمت وبينت لنا بما فتح الله لك تعريفكم لمفهوم الزنا وفق النظرة القرآنية العرفانية مع فائق الامتنان والتقدير.

فقلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته الحمد لله بنعمة سابغة بفضل الله. الزنا باطنياً هو التوحيد المختلط بالشرك كالإيمان بإله واحد لكن خلطه بالإيمان بأن له ولد. لأن النفس لله وحده، "إنا لله". فإذا أشركت بالله فقد زنت.

...

قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته استاذنا الفاضل لو تكرمت وبينت لنا بما فتح الله لك معنى قول الرسول صلى الله عليه واله وسلم(من عرف نفسه عرف ربه) فقد قال عرف ربه ولم يقل عرف الله فأن ما يتبادر إلى اذهان الناس هو المطلب الثاني لا الاول. مع فائق الامتنان والتقدير.

فقلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. الإنسان نفس وجسم. النفس رب والجسم عبد. والرب هو المتحكم والمتصرف. فمن أراد أن يعرف مصدر توجيهه وتحريكه وتربيته وأحكامه وأفكاره وبقية شؤونه فليعرف نفسه. هذا تأويل. تأويل آخر: لا أحد يعرف الله المطلق إلا بقدر ما يتجلى له، وتجليه الإله المطلق هو الربوبية، (ربه) تجلي الإله الخاص له، ومحل هذا التجلي هو (نفسه) نبهه بهذا حتى لا يبحث عن التجلي في غيره وما هو خارجه. تأويل ثالث: المعرفة تتعلق بالكثرة، "سيريكم آياته فتعرفونها"، "يعرفون نعمة الله". بينما العلم يتعلق بالوحدة "فاعلم أنه لا إله إلا الله"، "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم". الحديث يتعلق بمقام الفرق ما بين الرب والعبد، وهي المعرفة. بينما العلم يتجاوز النفس وهو من السر المطلق. النفس فرد من أفراد كثر، وهي من العالَم. لذلك جعل معرفة النفس وسيلة لمعرفة ربها، فإن عرفها بالحدود

عرف ربها بأنه لا محدود، هذا وجه. ووجه آخر حين يعرف نفسه بصفات الكمال الظاهرة فيها فسيعرف مصدرها وهو ربه لأنه يعلم أنه لم يخلق هذه الصفات فيها ويحدد مقاديرها.

ثم قال: التمس العذر لسرقة وقتك الثمين.
فقلت: وهل هاجرت إلا للجواب بصدق وبيان تام على مَن هو مثلك من المحبين للعلم والدين. وقتي لهذا الأمر أصلاً. فسل عن ما بدا لك والله يفتح برحمته.

...
قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مولانا الفاضل لو تكرمت وبينت لنا بما فتح الله لك معنى قول الشيخ الاكبر رضوان الله عليه(قد يكون الاعوجاج استقامة على الحقيقة كاعوجاج القوس فالاستقامة المرجوة منه اعوجاجه) مع فائق الامتنان والتقدير.

فقلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. الاستقامة تعني موافقة الشيء في صورته الظاهرة لحقيقته المقدرة له الكاملة في علم الله. مثلاً: مهندس رسم صورة مبنى، الاستقامة تكون ببناء المبنى في الواقع حتى يتطابق مع رسمة المهندس وتقديره. فتكون كل تفاصيل الرسمة ظاهرة في الواقع. فالشيخ يريد تغيير مفهوم الاستقامة الشائع الذي ينظر إلى الظاهر، وجعله مؤسساً على الحقيقة والمقصد من الشيء. فالقوس المقصد منه الرمي، وهذا لا يتم إلا بالاعوجاج. فالاستقامة موافقة الصورة للمقصد منها. ومن هذا مثلاً قول النبي بأننا إن لم نُذنب فسيأتي الله بقوم يُذنبون فيستغفرون فيغفر لهم. فالذنب في الظاهر اعوجاج، لكنه بالنسبة للحقيقة الإنسانية استقامة، لأن الإنسان هو الخليفة الجامع للأسماء، والمؤمن هو محل تجلي أسماء الرحمة خصوصاً، ومن أسماء الرحمة الغفور والغافر والغفار، فالكافر لن يستغفر، بالتالي اسم الغفور مختص بالمؤمنين، فإن لم يذنبوا ويستغفروا سيتعطل ظهور الاسم وهذا اعوجاج في الحقيقة فهو مرفوض. لذلك كان الذنب بغير قصد مع الاستغفار من كمال المؤمن واستقامته لأنه موافق لقصد الله من خلقه. على هذا النمط: احكم بحسب كمال الشيء ومقصده، فتعرف استقامة الظواهر من عدمها.

...
محامد فتح الله بها عليّ:

الحمد لله الذي عنايته سابقة، الحمد لله الذي نعمته سابغة.

الحمد لله كما حمده أحمد، الحمد لله كما يحمده محمد.

...
بداية التنوير: اسأل نفسك هل الكمال ممكن في هذه الحياة الطبيعية أم لا؟ والمقصود بالكمال كمال الحياة الحسية والاجتماعية والمالية، يعني الحياة الطبيعية بكل تفاصيلها الظاهرية. يستحيل إثبات أن الكمال ممكن، لأن كل مَن ولد في هذا العالَم يعلم أن الكمال مستحيل. فلم يبقى إلا أن الكمال مستحيل. وبما أنه مستحيل، فلابد من بناء نظرة مختلفة للحياة مؤسسة على هذه الحقيقة وكل ما يتفرع عنها.

...
{والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخرا ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق ولا يزنون} لماذا ربط الشرك بالقتل والزنا؟ الكل نظام واحد يتعلّق بنقض التوحيد.

فقوله {لا يدعون مع الله إلهاً آخرا} هو الشرك الخالص.

وقوله {لا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق} أي نفس المؤمن الموحد، لا يقتلها بدعوتها إلى غير التوحيد الخالص. "إنا لله" فالنفس لله تعالى، فهي محرّمة بهذا. فلا يجوز إخراجها من حريتها بالله تعالى وتعلقها به وحده {إلا بالحق}.

وقوله {لا يزنون} هو التوحيد المكدّر بالشرك.

...
أي مشكلة تحدث لك في جسمك أن مجتمعك أو مالك:

فارجع فوراً وكأول خطوة أو كثاني خطوة على الأكثر إن كنت في حالة طارئة لا تلتفت فيها، فارجع إلى الله وادعه مباشرةً،

ثم انظر في باطنها ورسالتها النفسية الروحية وأصلح أمراً في نفسك بناء على رسالتها وتأويلها الباطني،

ثم تذكّر جميع الحسنات والمعاذير التي تحيط بهذه السيئة واجعلها في حجمها المناسب فلا تكبّرها فقط لأنها جديدة وحاضرة بل انظر إليها في سياق الأمر الكلي ومجمل حوادث حياتك الإيجابية في معظمها،

ثم قارن سوء هذه الحادثة بما هو أسوأ منها في الدين والدنيا عند غيرك،

ثم انظر ما الذي إن فعلته ما كان هذا السوء ليقع عليك من الأمور الواضحة لا الوهمية،

ثم اسأل الله أن يحميك ويهديك ويعافيك،

ثم حاول أن تساهم في إصلاح ما يصيب غيرك من هذا السوء ولو بالدعاء لهم والمساهمة بفلس واحد فما فوق ذلك ما استطعت،

ثم اذهب وعالج السيئة ذاتها على مستواها الظاهري الذي حدثت فيه.

هذه سبع حسنات كامنة في كل سيئة تصيب أي إنسان. فإن وضعت سبعة في طرف، وواحد في طرف، فطرف السبعة يغلب كمّياً، وقطعاً يغلب كيفياً بل واحد من تلك السبعة الحسنة يغلب بكيفيته كل سيئات الدنيا وما فيها وهو ذكر الله والرجوع إليه بها. فالحياة خير ظاهراً وباطناً ولذلك نقول "الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور".

...

لما سأل الناس آية {كما أُرسل الأولون} ردّ عليهم بآيتين، في الأولى بيّن لهم الأمر على فرض صحة قولهم، وفي الثانية بيّن الحق في نفسه فقال {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}. فقوله {ما أرسلنا من قبلك} يردّ على تصوّرهم الفاسد عن المرسلين. الذين يتحدث عنهم القرءان هم قوم يعتقدون بالرسل وآياتهم بطريقة خاصة فاسدة، وليسوا ممن ينكر الرسل جملة، ولذلك قالوا {فليأتنا بآية كما أُرسل الأولون} فلديهم تصور إذن عن الرسل وأنهم من الأولين أي الماضين السابقين في الزمن، كما قال إخوانهم جواباً عن {ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين}، فتصوّر هؤلاء عن الرسل وآياتهم فاسد. فجاء القرءان ليصحح المفهوم فقال {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم} فمن تصوّر الرسل على أنهم غير {رجالاً} أو على أن ما جاءوا به وفعلوه كان غير {نوحي إليهم}، فقد كذب. ولذلك ردّ بعدها مثلاً على تصوّر الرسل ككائنات خارقة للطبيعة فقال {ما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين}، وهكذا. فالرسول رجل له وحي إلهي، "قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ".

فإن قلت: فماذا عن كل القصص التي تدل على أن الرسل فعلوا أفاعيل خارقة للطبيعة وآيات مادية عجيبة؟ قلنا: هي أمثال عن أمور النفس، وليست مادية. فستقول: فأنا لا أفهم هذه الأمثال. سيقول لك الله في تكملة الآية {إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون} أي إن كنتم لا تعلمون باطن آيات الرسل، فإن الكلام في المقطع عن الآيات "فليأتنا بآية كما أرسل الأولون"، هذا موضوع الكلام، فالموضوع آيات الرسل، فهنا بيّن أن الرسول رجل له وحي، فآياته كلها من قبيل الوحي، وليس على سبيل الآية التي تخضع الأعناق. فلمّا قال "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون" وقال "صرفنا للناس في هذا القرءان من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا" يعني الكفر بالأمثال، واعتقاد أنها "أساطير الأولين" ونحو ذلك. فحتى لا يظن أحد أن الله يضرب أمثالاً ويتركها بدون وسيلة لتأويلها وتنزيل معانيها بالبيان للناس، قال {فاسألوا} فشرع السؤال، لكن سؤال مَن؟ الأصل أن السؤال لله تعالى وحده "سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا"، فالأصل أن الإنسان خليفة الله عليه أن يسأل الله وحده كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم "إذا سألت فاسأل الله" هذا

أمر لمن له المقام العالي من الفقهاء أهل الله بالروح، فلمّا كانت رحمة الله سابغة على بني ءادم جعل بعضهم خلفاء تعليم لبعض كما كان ءادم للملائكة، فقال تعالى {فاسألوا أهل الذكر} فجعل أهل الذكر خلفاء الله في الأرض يسألوهم بدلاً من التوجّه مباشرة بالسؤال لله من مقام التجريد القلبي، فجعل لهم في الأرض من جنسهم أناساً هم {أهل الذكر} وفيهم أهلية قبول حقائق وروح الذكر. ولاحظ أنه قال {أهل الذكر} ولم يقل أهل الفكر ولا أهل المناجاة و التسبيح و الدعاء، فإن أولي الألباب ثلاثة "أولي الألباب الذين يذكرون الله..ويتفكرون في خلق..ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا"، فالألباب ثلاثة، لبّ بالذكر ولبّ بالفكر ولبّ بالمناجاة والتسبيح والدعاء أي مخاطبة الله، فاختصّ هنا من هذه الطوائف الثلاثة طائفة {أهل الذكر} تحديداً لأنهم الأعلى، ومَن كان له فكر بدون ذكر فقد يكون من أهل سقر "إنه فكّر وقدّر...سأصليه سقر"، ومَن كان من أهل الدعاء وهو لا يعرف مَن يدعوه وليس من أهل الذكر والفكر قد يكون من الداعين بالضلال "وما دعاء الكافرين إلا في ضلال". فما الذي يجعل الإنسان من أهل الذكر وقد رأينا أن من الناس مَن يكون كما قال الله "فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله" وليس "عن ذكر الله" بل قال "من ذكر الله" وإن احتمل المعنى معنى "عن" لكن الأصل الأوسع والمعنى الحرفي يشير إلى قوم قاسية قلوبهم "من" ذكر الله يعني بسبب ذكر الله قست قلوبهم فقست قلوبهم بالتالي "عن" ذكر الله الحق لأن الله لا يُذكَر بقلب إلا بقلب لا قسوة فيه وكلما ازدادت قسوة القلب كلما ابتعد عن ذكر الله. فإن قلت: فما شرط الذكر بالحق إذن؟ قبل الذكر شرط واحد وهو التزكية لقوله "قد أفلح مَن تزكّى. وذكر اسم ربه". لذلك قال {أهل الذكر} ولم يقل "فاسألوا الذاكرين" أو "فاسألوا مَن يذكر الله"، كما قال تعالى عن نفسه أنه "أهل التقوى وأهل المغفرة" فالأهلية كلمة جوهرية هنا وهي تدلّ على الاستحقاق الذاتي للشيء والمظهرية التامة له على أتم وجوهه، كذلك هنا {فاسألوا أهل الذكر} يعني من كانت نسبة الذكر لهم كنسبة التقوى والمغفرة إلى الله بالاستحقاق والموضع الأصلي. ثم قال {إن كنتم لا تعلمون} كما قال في الأمثال "وما يعقلها إلا العالمون". فالناس بالنسبة لآيات الرسل إما عالِم وإما غير عالِم. فالعالِم عليه البيان عند السؤال إن كان عادلاً وحتى حين لا يسأله الناس إن كان مُحسناً. وغير العالِم عليه السؤال لكن تحديداً من أهل الذكر وليس أي مسؤول كيفما اتفق وإلا فقد يضلّه ويزيده عمى على عماه الأصلي.

إذن، معرفة حقيقة آيات الرسل وأنها وحي وأمثال على الوحي وأبعاده وتأثيراته في نفوس المؤمنين والكافرين، مبني على معرفة مفتاح تفسير الأمثال وتعبير القصص.

...

في الحديث المعروف، لعن النبي مَن يخفر ذمّة أدنى واحد من المسلمين والمسلمات. يعني إذا أجار وقرر مسلم حماية إنسان داخل مجتمع المسلمين، فيجب على المسلمين حكاماً ومحكومين أن لا ينقضوا ويكسروا كلمة المسلم بل عليهم احترامها بعدم التعرض لمن حماه. وقال النبي أن مَن خفر ذمة المسلم ف"عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين". طيب، الآن: ماذا نقول في الذين ليس فقط لا يحمون مَن يحميه المسلم، بل المسلم نفسه لا أمان له في مجتمعه تحت حكمهم؟ المسلم نفسه قيمته صفر أو في حكم الصفر عملياً وإذا جدّ الجدّ. في نظام النبي، "ذمة المسلمين واحدة، يجير عليهم أدناهم". في الأنظمة التي تزعم إنها "إسلامية"، الذمة فقط للحاكم، والعامة ليس فقط لا يجيزون غيرهم بل ولا يجيرون أنفسهم ! فإذا كان مَن يخفر ذمة أدنى مسلم فهو لعين الله والملائكة والناس أجمعين، فمعنى هذا أنه لا حدّ لوصف اللعنة التي يستحقها كل أصحاب الأنظمة التي تزعم أنها إسلامية ولا تراعي ذمة مسلم بل ولا حُرمة مسلم. زادوا على لعنة خفر ذمته، لعنة ثانية لمحق حرمته، ولعنة ثالثة لنفاقهم وتلبسهم زوراً بثوبي الإسلام والتوحيد.

...

سبب مجيء الذكر والنذر من الله لنا عبّر عنه مرة بقوله (لمن شاء منكم أن يستقيم) ومرة بقوله (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر). ما الفرق؟

لاحظ أولاً أنه في الحالتين الأمر متوقف على مشيئتك. يعني أنت مجبور على الاختيار، أنت حر من حيث موضوع اختيارك لكنك عبد من حيث اضطرارك على الاختيار. الحقيقة الكبرى لحياة الإنسان هي أنه مجبور على الاختيار في كل لحظة.

في الذكر قال (لمن شاء منكم أن يستقيم). هذا يعني النفس قابلة للاعوجاج وللاستقامة معاً. النفس لها عقل وإرادة، العقل يعوج أو يستقيم بحسب معرفته، إن عرف الحق استقام لأنه اتصل مباشرة بموضوع تكوينه فالعقل مصنوع لمعرفة الوجود.

في النذر قال (نذيراً للبشر. لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر). أيضاً حرية في موضوع التقدم والتأخر، وعبودية من حيث حتمية اختيار موقف سيتسبب بالتقدم أو التأخر. التقدم والتأخر دليل وجود درجات، ووجود مشيئة مفتوحة دليل أن الأمر مفتوح بمعنى لا يوجد قضاء إلهي يجبر على تقدم أو تأخر وإلا لكان تعليق التقدم والتأخر على المشيئة كذباً ووهماً. معيار التقدم الأعلى هو موقفك من الآخرة، وأما الدنيا فكل الناس فيها في تأخر لأن "مَن نعمّره ننكسه في الخلق" فمع كل نَفَس تتأخر عن الدنيا وتتقدم نحو أجلك المسمى.

مَن عقل كلام الله استقام، ومَن أراد الآخرة بالحق تقدّم.

...

(تكملة دراسة سورة الملك)

١٥-{هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور}

الآية من ثلاثة أقسام: علم وحكم وعلم. فالعلم الأول قوله {هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا}. والحكم فيه أمران {فامشوا في مناكبها وَ كلوا من رزقه}، وهو حكم مترتب على العلم السابق. والعلم الآخر قوله {وإليه النشور}.

المعلومة الأولى {هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا}

المعلومات تنقسم إلى معلومة معروفة للإنسان ومعلومة مجهولة له. ثم المعلومة المعروفة تنقسم إلى معروفة يتذكّرها ومعروفة يغفل عنها. والمعلومة المجهولة تنقسم إلى مجهولة لأنها فوق قدرته على المعرفة، ومجهولة داخلة في قدرته على المعرفة سواء عرفها مباشرة وبذاته أو غير مباشرة وبمعونة غيره.

الآن، إذا تأملنا في العبارة سنجد أن {الأرض} على اعتبار أنها هذه الأرض الطبيعية التي تحت أقدام أجسامنا، هذه الأرض معلومة معروفة لا ينازع فيها الناس، أي وجود الأرض. لكن كونها {ذلولا} أيضاً معلومة معروفة ولا ينازع فيها لكن قد يغفل عنها، أي قد يغفل الناس عن ذلك ويأخذونها من قبيل العادة والمسلمات البديهية ولا يسألون أنفسهم "لماذا معظم الأرض ذلول لنا نستطيع المشي فيها ونجد فيها طعاماً لنا حتى إن لم نعمل بأنفسنا لجلبه"، فليس في ضروريات العقل أن تكون الأرض {ذلولا} بل قد تكون معظمها صعبة مستصعبة كما أننا نجد بعض المواضع في الأرض ليست ذلولاً فالحكم هنا على اعتبار كون الآية عن الأرض الظاهرة إنما هو حكم بالغالب وتسمية الشيء بالغالب عليه وارد في القرءان وكلام الناس عموماً مثل "إن قومي اتخذوا هذا القرءان مهجوراً" فإن ليس كل قومه فعلوا ذلك بل أكثرهم بدليل إيمان "السابقون الأولون من المهاجرين" وهم من قومه، كذلك هنا {ذلولا} أي معظم الأرض، فلماذا توجد مواضع في الأرض ليست ذلولا؟ حتى تذكّرنا بالقاعدة العامّة التي هي {ذلولا} فحتى نتنبّه إلى أنه لا عقلاً ولا واقعاً توجد ضرورة لكونها ذلولاً، كما هو الحال مثلاً في ولادة الأطفال فإن معظم الأطفال يولدون بسلام وسلامة لكن بعضهم يموت وبعضهم يولد بأمراض وتشوهات ونحو ذلك، فهذا من الاستثناء الذي ينبّه العاقل على القاعدة العامّة وحتى يسأل عن مصدر هذه القاعدة العامّة. وحين نسأل سنصل إلى كشف المعلومة الجديدة في الآية، فإننا لسنا بحاجة إلى الوحي لنعرف أن {الأرض ذلولاً}، لكن الآية تكشف لنا عن {هو

الذي جعل لكم} فهذا أمر لا يمكن معرفته بالحس والعقل التابع للحس فقط، فإننا إذا نظرنا في الأرض الذلول لا نستطيع بمجرد حواسنا معرفة أنها على هذه الشاكلة بجعل {هو} وبقصد {لكم}. فميزة القرءان كشف فعل الله في العالَم، وخصوصاً باطن ومقاصد العالَم. وأما ظاهر العالَم فقد يستغني الناس بحواسهم عنه، "يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا" فأثبت لهم علماً بظاهر من الحياة الدنيا بدون الوحي والرسل، بل علمهم هذا جعلهم ممن "فرحوا بما عندهم من العلم" فكفروا بعلم الرسل الإلهي. إلا أن بيان الله {هو الذي جعل لكم} يدلّ على أن معرفة هوية الله {هو} واسمه {الذي} وفعله {جعل} وقصده {لكم}، هذه الأركان الأربعة في المعرفة الإلهية أي معرفة الهوية والاسم والفعل والقصد، هي من المعارف الداخلة في قدرة العقل الإنساني وإلا لما خاطب الله الإنسان بها. نعم، يبقى سؤال وهو: هل العقل يستقلّ بمعرفتها حتى إن لم ينبهه الوحي عليها ويستمد قوّة الوحي وروحه أم لا؟ وبحث هذه المسألة ليس هذا موضعه. فيكفينا هنا إثبات قدرة العقل على معرفة الأمور الإلهية هويةً واسماً وفعلاً وقصداً، وهي الأركان الأربعة الكامنة في مظاهر العالَم المشار إليها هنا بصورة {الأرض ذلولاً}، فهذا القدر أي قدر {الأرض ذلولاً} محسوس ومتعقّل، لكن ما وراءه من {هو الذي جعل لكم} هو المعرفة الإلهية، بمعنى أن {الأرض ذلولاً} معرفة طبيعية وَ {هو الذي جعل لكم} معرفة إلهية. والعقل الإنساني قابل للمعرفة الطبيعية والمعرفة الإلهية، أو معرفة الظاهر والباطن.

في الآية أيضاً تنبيه على الترتيب المنطقي للمعرفة. لأن الآية أو هذا القسم تحديداً، ثم سنرى بعد ذلك إن شاء الله الآية ككل، هذا القسم أي المعلومة الأولى فيها الترتيب المنطقي من الأوسع إلى الأضيق، ومن الأصل إلى الفرع، ومن المبدأ والسبب إلى الأثر. فبدأ البيان بالوجود المطلق اللامتناهي {هو}، ثم تنزّل إلى اسم {الذي} وهو اسم يقيّد الهوية في مظهر ما، ثم تنزّل من الاسم إلى الفعل {جعل} والجعل مختلف عن الخلق ويختص إما بعالَم الظلمات والنور "خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور" وإما بخواص وصفات المخلوق مثل هنا {الأرض ذلولاً} أو "جعل النهار معاشا"، ثم تنزّل إلى القصد من الفعل {لكم} فقد يجعل لنا أي الناس وقد يجعل لغيرنا من الأمم المخلوقة في العوالم عموماً وخصص وقيّد هنا بالجعل لنا، ثم تنزّل أكثر واختار من بين كل المخلوقات {الأرض}، واختار من بين كل صفات الأرض وهو تنزّل آخر {ذلولاً} وبدأ بذكر الأرض ثم صفتها أي الجوهر ثم الصفة العرضية {الأرض ذلولاً}. فالآية واردة على الترتيب العقلي من الأعلى إلى الأدنى، وربطت وسلكت في نظام واحد الوجود كله من الهوية الأحدية إلى الأرض الذلول، وليس وراء ذلك مطلب للعقول.

الكلمات الست {هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا} فيها تناظر عميق، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة مقاطع، {هو الذي} مقطع، {جعل لكم} مقطع، {الأرض ذلولا} مقطع. الكلمة الأولى من

المقاطع الثلاثة متصلة، والكلمة الثانية من المقاطع الثلاثة متصلة. فقوله {هو-جعل-الأرض} يدل على أن الهوية الإلهية تتجلى بجعلها في الأرض، فالأرض بالنسبة للكائنات الأرضية رمز ومَثل على الهوية الإلهية بالنسبة للأشياء الوجودية، فالهوية الإلهية هي أرض الوجود مطلقاً، وكل ما ينشأ في الوجود فأرضه هوية الحق تعالى منها يخرج وعليها يقوم وإليها يرجع كما أن الأرض بالنسبة لأهل الأرض "منها خلقناكم وفيها ونعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى" كذلك "إنا لله وإنا إليه راجعون". فعلى أي أساس جُعلِت الأرض؟ على أساس الهوية الإلهية. لذلك {هو-جعل-الأرض} على هذا النسق، فكل ما في الخلق انعكاس لما في الخالق ومجلى له ومثل عليه. وكذلك الحال في قوله {الذي-لكم-ذلولا} فإن اسم الله فيه أعيان الموجودات ومنها أنتم أيها الناس ولما عرف ضعفكم فمن رحمته خلق لكم ما يناسبكم وهو أرض {ذلولا} فهي ذلول لأنكم أنتم ضعاف في أصل الخلقة من وجه الظاهر ولأنكم مخلوقين للخلافة والخلافة تطلب رؤية الساجدين للخليفة وهو من التذلل "أذلة على المؤمنين" "اسجدوا لآدم" فجعل لكم الأرض بنحو يناسب باطنكم، فالأرض ذلول لأن جسم الإنسان ضعيف وروح الإنسان شريف، هكذا قدّره الله من قبل جعل الأرض على ما هي عليه، لذلك تأمل أن كلمة {لكم} جاءت قبل ذكر الأرض {لكم الأرض ذلولاً} فلنا وجود إذن ما قبل وجودنا الأرضي، ومن وجودنا السابق هذا تم جعل الأرض بنحو يناسبه، فأين كان وجودنا؟ كان في {الذي} أي في اسم الله تعالى الذي يصل ما بين الهوية والخلق، لذلك {الذي-لكم-ذلولا} على هذا النسق، فكل مجعولات العالَم الذي سيكون فيه الإنسان تناسب ذات الإنسان بحسب تقديرها في الاسم الإلهي حتى من قبل خلق الإنسان وإظهاره إلى ساحة العالَم. فتأمل هذا، واعلم أن الله اعتنى بنا حتى قبل خلقنا. وعلى هذا الأساس جاء الحكم بعد ذلك فقال...

الحكم: {فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه}

الأمر الأول {فامشوا} المشي ما بين القعود والجري، فالقاعد متواكل والجاري متشائم جاهل. المشي هو الحركة المعتدلة للإنسان، وأحسن ما يعمله، ولابد أن يكون قبل الأكل، حتى على مستوى الظاهر فذلك أنفع. لماذا نمشي مطمئنين؟ لأن الله جعل لنا الأرض ذلولا، فنحن نطمئن إلى حكمته وضمانه وعنايته، لذلك نمشي مرتاحين نفسياً في الأرض. والمناكب تجمع الأطراف والأرض عموماً.

الأمر الثاني {كلوا} المشي استهلاك طاقة، الأكل تحصيل طاقة، وعلى الاثنين تدور الحياة. وفي هذا الترتيب إشارة إلى أن الأكل بقدر المشي، بمعنى بقدر ما تُنفق من طاقتك بقدر ما تستحق غذائك، فكلما كان جهدك أكثر كلما كان كسبك أكثر.

باطنياً: الأرض كتاب الله. والمشي قراءته على مكث وبدون عجلة، ولذلك قال بعدها {وكلوا من رزقه} كما قال في الآية الأخرى من سورة طه التي ذكر فيها إعطاء القرءان ثم نهى عن مد العين إلى متاع الدنيا وقال "ورزق ربك خير وأبقى" فرزق ربك هنا تحديداً وبالمعنى الأدق هو الرزق العلمي والوجداني من القرءان والوحي، كذلك قال في سورة الكهف فأمر أولاً بتلاوة الكتاب الإلهي ثم الصبر مع أهل الدعاء ثم نهى عن طلب الدنيا وأهلها. فمعنى {كلوا من رزقه} هو رزقه الخاص الذي هو العلم، رزق النفس، خلافاً لرزق الدنيا الفانية. فالرزق المنسوب لله بالمعنى الأعلى هو الرزق الأعلى، أي العلم الذي يختص الله به من يشاء وهو بالروح وللنفس العاقلة. فقوله {هو الذي جعل لكم الأرض} مثل "هو الذي أنزل عليك الكتاب"، وقوله {ذلولا} مثل "يسّرنا القرءان للذكّر" و "يسّرناه بلسانك"، ونحن نرى تيسير القرءان للذكر بحسب ألفاظه العربية وتركيبه العجيب حتى إن أطفال العجم يحفظونه مع طوله وتعقيده، لذلك قال {فامشوا في مناكبها} مناكب القرءان سوره وآياته عموماً بأصنافها التي توازي تأويلاً المظاهر الأرضية كأن تكون جبال الأرض مثل آيات ذكر الله الأعلى وتكون الأودية والمسافل مثل آيات ذكر الدنيا والبدن وهكذا في بقية الأمور، فالمشي في القرءان يكون بتلاوته. لكن جاء الأمر الثاني وهو {وكلوا من رزقه} فبعض الناس يمشي ولا يأكل، كالذي يتلو ولا يفهم ويعقل ويتفقه ويدرس ويأخذ المعاني ويتحقق بها ويشاهدها ويراها، فهو يمشي في الآيات لكن لا تصبح الآيات جزءاً من نفسه بتعقلها وهضم معانيها. وحتى يدفع النفس للتشوق للأكل من هذا الطعام العالي والمأدبة الإلهية ("القرءان مأدبة الله" كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم) بيّن قيمة هذا الأكل فقال {كلوا من رزقه} فنبّه بقوله {رزقه} فنسبه إلى الهوية الإلهية، لأن النفس لا تستطيع مشاركة الله في ذاته ولا في قدرته ولا في أي صفة أخرى على التحقيق إلا في صفة العلم، فإن العلم له حقيقة واحدة جوهرية فإن حصلت في النفس فقد حصل التقرب من الله تعالى، فأعلى وأحسن رزق هو رزق العلم الإلهي الموجود في القرءان، لأنه {من رزقه} تعالى، إذ العلم نور والنور حقيقة الله فمن تحقق بالعلم فقد صار نورانياً "أتمم لنا نورنا" وقال النبي "اجعلني نوراً" وقد علم النبي أن "الله نور" فقد أراد الاتصال بالله بتجلي النور به فصار رباناً من هذا الوجه.

ثم ختم بالمعلومة الأخرى {وإليه النشور}

فعلى التأويل الباطني وهو الأحق والأعلى، يكون المشي لرؤية الشيء، ثم الأكل للعلم به، ثم النشور هو بعث النفس من الجهل إلى العلم بعد تماهي العلم بالنفس وتخلل النور ذات العاقل.

"جعل النهار نشورا" فالنشور نهاري، كما أن ما قبله ليلي. فالمشي والأكل في الليل، وبعد ذلك النهار. باطنياً قد بيّناه. وظاهرياً، الحياة الدنيا كلها ليل بالنسبة لنهار الآخرة حين " أشرقت الأرض بنور ربها". وهذا تأويله أيضاً الحالي، لأن النفس ستشرق بنور ربها بعد أن تمشي في آيات كتابه بالتلاوة وتأكل من رزق معلوماته بالتعقل.

الآية دائرية لأنها خُتمِت بما بُدأت به. فبدأت بقوله {هو} وخُتمت بقوله {إليه} النشور. فمنه وإليه، هذا هو العالَم من أوله إلى آخره، فالحق تعالى هو المبدأ والمعاد "وإليه المصير". وما بينهما تجلياته النازلة {الذي جعل لكم الأرض ذلولاً} وهذا قوس النزول، ثم قوس الصعود {فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور}. وهذا المشي مثل الإسراء في قوله " سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله" ثم قال "لنريه من آياتنا" وهذه توازي {وكلوا من رزقه} فالإسراء لرؤية الآيات، ثم رؤيتها بمعنى معاينة حقيقتها هو الأكل، "إنه هو السميع البصير" توازي {وإليه النشور} لأنه نُشر بروح السمع والبصر فصار عاقلاً متحققاً باسمي السميع الذي يعرف المجرّدات والبصير الذي يعرف المجسّدات، فالسميع للباطن والبصير للظاهر، والعالَم باطن وظاهر.

قاعدة اجتماعية سياسية : لأن الله قال {جعل لكم الأرض} ولم يقيّد في {لكم} ما بين مسلم وغير مسلم، فهذا دليل على أن الأرض مطلقاً مجعولة للناس مطلقاً، بالتساوي التام بينهما في أصل الجعل. وتفسير المساواة هنا هو قوله {فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه}، أي حرية الحركة في الأرض وحق الأكل من ثمار الأرض، بمعنى أن الأرض من حيث ذاتها وأموالها هي للناس جميعاً من حيث هم أناس لهم أجسام أرضية، فلا عبرة لقلوبهم وأحوالهم الباطنية من هذا الوجه. هذه هي القاعدة الإلهية للحرية والمساواة السياسية في الأمور الطبيعية وبالتبع لها الأمور الاجتماعية.

على هذه القاعدة، لابد من اعتبار الحدود بين الدول أمراً مخالفاً لأصل القصد الإلهي من جعل الأرض. وكذلك كل استبداد لبعض الناس بخيرات الأرض ومواردها من دون بقية الناس وبدون السعي لإشراك الكل في الانتفاع بالأرض على قاعدة المساواة المعقولة الناظرة إلى حقيقة أجسام الأفراد وما تحتاجه بدون أي اعتبار آخر غير الجسم البشري ذاته، كلاهما من

الأمور المخالفة لأمر الله وقصده من الأرض وهو إجرام في حق الملك الحقيقي للأرض الذي هو الله تعالى. لابد من صيرورة الناس كلهم من حيث ظاهرهم واجتماعهم البشري وأجسامهم نظاماً واحداً، ولابد من مراعاة كل البشر بلا استثناء من حيث أجسامهم وتقسيم الثروات وتوزيعها على هذا الأصل. وأما حرية الدين والرأي والاختلاف في كل ما سوى ذلك فلا يُعارض ذلك بل هو من باب الكثرة داخل الوحدة، فإن الوحدة المقصود منها التوحيد السياسي والمساواة الاقتصادية الجسمانية. إلى أن يستقيم الناس على هذا القصد الإلهي ستظل النزاعات الدموية وغير الدموية لأسباب معاشية بحتة، بل سيتم كما تم ويتم تسخير وتحريف الدين الإلهي نفسه من أجل تلك النزاعات المادية الصرفة. فالناس بتحديد الدول يكسرون أمر {فامشوا في مناكبها} والذي يبيح لكل الناس وهو المقصودين بكلمة {جعل لكم} أن يمشوا في مناكب الأرض كلها، فبأي حق يأتي مجرم ولد عارياً قبل بضع سنوات ويقف بسلاحه يهدد به ويقتل به ويعاقب به كل من يتجاوز نقطة حدودية زعم هو وطغاته الذين ولدوا مثله عراة قبل بضعة سنين وسيصيرون إلى الديدان بعض لحظات قليلة، أن هذه الأرض ملكاً لهم. وبعض الناس يكسر {كلوا من رزقه} بنسبة الرزق لأنفسهم واحتكاره وتغوله والاستبداد به، بدلاً من أن تُثبَت الملكية لله مما يعني أنها ملكية مشاعة بين الناس جميعاً بحسب ما يحتاجونه من أكل. السياسة الحالية كفر بأمر {فامشوا في مناكبها}، والاقتصاد الحالي كفر بأمر {وكلوا من رزقه}، والدين الحالي لأكثر الناس كفر بحقيقة {هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا}، وأكثر الناس غافلون عن عاقبة كفرياتهم هذه والتي سيظهر نارها للكل يوم {إليه النشور}. انظر إلى ما يقوم به الناس في السياسة والاقتصاد، وما يستغلونه من تحريفات الدين والفلسفة، لترى أن شغلهم الشاغل هو تحديداً كسر قوله تعالى {الأرض ذلولا}، لأنهم يجعلون بكل تقعيداتهم وتعقيداتهم الأرض والعيش عليها صعباً مستصعباً بل يجعلون بعض الناس يفضلون قتل الناس وتقحم جهنم والكذب على الله والدخول في كل الرذائل بل الانتحار من شدة صعوبة العيش على الأرض، وهذا يناسب غرض إبليس تماماً فهؤلاء كلهم من جنود الشيطان علموا أم لم يعلموا وسيعلمون.

...

(علي بن أبي طالب عليه السلام يشرح الواقع السياسي للأمّة)

في نهج البلاغة ورد ما يلي من قول علي حين أراد المسلمون أن يبايعوه على الإمارة بعد قتل عثمان رحمه الله:

{ دعوني والتمسوا غيري، فإنا مُستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول وإن الآفاق قد أغامت والمَحجّة قد تنكّرت. واعلموا أنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلّي أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم منّي أميرا } انتهى.

أقول: في هذه الكلمات ما يكفي لبيان أصل المشكلة السياسية في الأمّة من ذلك الزمان إلى هذا الزمان، وفيها ردّ على الشيعة قبل السنّة، وفيها ما يكفي لبيان أن ما يُعرَف اليوم بالديمقراطية أو الجمهورية هو الأصل الوحيد المعتبر عند علي. وسنرى في الخطبة الثانية إن شاء الله التي بعد هذه أحسن شرح وجدته إلى الآن لما حدث ويحدث بسبب تغيير نظام اختيار الناس الإمارة إلى نظام الجبرية والملكية العائلية والعسكرية. فتعالوا ننظر أولاً إن شاء الله في هذه الخطبة.

في البدء، هنا نرى الفرق الأساسي بين علي وغيره. الناس هم الذين جاءوا إلى علي ليجعلوه أميراً عليهم. الناس لم يذهبوا إلى أحد قبله ولا أحد بعده، هذه حقيقة تاريخية، فباستثناء النبي الذي جاءه الأنصار إلى مكّة وبايعوه مرّتين، لم يسبق أن جاء المسلمون إلى رجل ليبايعوه. أبو بكر أخذها في السقيفة وهو وعمر وابن الجراح سعوا لها في السقيفة. عمر أخذها من أبي بكر. عثمان أخذها من ستّة. الناس لم يذهبوا إلى أحد منهم، مهما قيل بعد ذلك أن الناس وافقوا على اختيار أبي بكر أو عمر أو عثمان، فهذا محل نزاع، لكن القدر المقطوع به هو أن الناس هم الذين ذهبوا إلى علي، لا أخذها في سقيفة مغلقة ولا بولاية عهد ولا بمشاورة بضعة رجال في غرفة مغلقة لا هم رشحوا أنفسهم ولا الناس رشحوهم بل رشحهم عمر برأيه الخاص. فعلي أوّل من أعاد الأمر إلى نصابه. ثم من بعده الحسن قليلاً، ثم حدث ما تعرفونه وما نعيشه إلى اليوم من اغتيال اختيار الناس وإخراجهم من المسألة برمّتها جوهرياً.

قال علي لما جاؤوه وأرادوه على البيعة {دعوني والتمسوا غيري}: هذه كافية لإظهار أمور بنحو لالبس فيه.

الأول، أن علي لم يسعى نحو السلطة بل الناس جاءوا إليه بالسلطة، لذلك قال {دعوني}.

الثاني، وهو الأهمّ والأكبر والأخطر، هو أن علي أثبت هنا أن الأمر أمر الناس والسلطة سلطة الناس بدليل قوله {التمسوا غيري} فنسب الالتماس لهم فأمرهم وأقرّهم على سعيهم

لالتماس مَن يقوم بالإمارة فيهم، ولم يقل لهم "ليس هذا من شأنهم ولا اختياركم". وهذا إبطال لنظرية الغصب السنّية التي سارت ولا زالت تسير عليها هذه الفرقة التي صارت ألعوبة بيد الطاغين على مرّ القرون ولا زالت.

الثالث، ردّ قول الشيعة الإمامية والإسماعيلية. فإنه يستحيل أن يصدر مثل هذا الكلام من رجل يعتقد ما يقوله هؤلاء فيه. فهو من جهة يقول لهم {دعوني} وهذا كفر إن صحّت عقيدة الشيعة فيه، لأن المفروض أن الله كلّفه بالقيام بالإمارة في الأمّة فهو واجبه الشرعي، والمفروض أن النبي أمره وولاه ذلك، فكيف يقول لهم بعدما جاءوه {دعوني}، وقد رأينا سعي الإسماعيلية مثلاً للإمارة عبر التاريخ، ورأينا ما يفعله الإمامية في عصرنا لا أقلّ من يقول منهم بولاية الفقيه، فرأينا هؤلاء ليس فقط لا يقولون للناس {دعوني} بل يريدون فرض أنفسهم على من لا يريدهم إن استطاعوا، أو على الأقلّ يبحثون عن الإمارة وإن لم تبحث عنهم. ومن جهة أخرى يقول لهم {التمسوا غيري} وهذا كفر أعظم وإلحاد على قول الإسماعيلية والإمامية، لأن عندهم أن الإمام واحد لابد من الدخول في طاعته وقبول إمارته وإلا فكل من يموت على غير ذلك فقد مات ميتة جاهلية، وعند الإسماعيلية تبطل قيمة الصلاة والزكاة وغيرها بدون اعتقاد الإمامة كما شرح ذلك هبة الله في المجالس المؤيدية مثلاً وغيره، فعلى قول هؤلاء سيكون قول علي للمسلمين {التمسوا غيري} وكأن الله يأمر الناس بعبادة الأصنام، أو النبي يأمر الناس باتباع أبي جهل، أي غير لعلي وهو إمام زمانه. وأما إن قالوا: إن علي أراد أن يلعب معهم كالمرأة الباغية المستحية أو نحو ذلك من التبريرات العظيمة الجرأة على مقام علي فضلاً عن سخفها، لأنهم كأنهم يقولون علي يكذب بهذه العبارة ويريد فقط تحمسيهم أو التأكد من صدقهم. ويعزز هذا ما سيأتي من قوله {وإن تركتموني فأنا كأحدكم} ولم يقل لهم "وإن تركتموني فأنتم كفاراً وستموتون ميتة جاهلية" بل أثبت مساواته لهم، بل لم يكتفي علي بهذا حتى قال {ولعلّي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم} فهنا إثبات حرفي للحقيقة الفطرية والقرءانية والعدلية وهي أن الإمارة أمر الناس {وليتموه أمركم} فأثبت أن الناس هم الذين يولّون ولهم سلطة التولية والعزل {وليتموه} ومَن له التولية له العزل كما أن مَن له النكاح له الطلاق، وقال {أمركم} وليس بعد هذا تقرير لأن الأمر أمرهم هم، أمر الناس، وهذا من قول الله "أمرهم شورى بينهم" فالأمر الذي هو شورى هو "أمرهم" وليس أمر الله فأمر الله ليس بالشورى لأن أمر الله لله، لكن أمر الناس للناس، وهذا تفريق جوهري وكبير وأساس اللغط والتحريف عند المنحرفين والغالين والمحرّفين الكلم عن مواضعه وفراعنة المتأسلمين. وبيّن علي بقوله {لعلّي أسمعكم وأطوعكم} أنه يرى واجبه وتكليفه السمع والطاعة لمن يوليه الناس أمرهم، هذا هو الشرط. مَن ولاه الناس أمرهم فعلى الكل السمع والطاعة له، لكن سنرى أن هذا لا يعني الخضوع الأعمى

والمطلق حتى في أمر الدين والعلم إن شاء الله بل هذه الأمور ليست من أمر الناس أصلاً حتى يولوا عليها أحداً، ويكفي هنا أن علي لم يجعل لنفسه لا حق الثورة ولا واجب الخروج ولا حتى حرية عدم السمع والطاعة لمن يختاره الناس، بعبارة معاصرة: على المواطنين جميعاً قبول مَن تفرزه الانتخابات الديمقراطية. نعم، في ذلك العصر فعلوها بأحسن ما يستطيعونه، لكن المبدأ اليوم هو المبدأ العلوي ذاته، بغض النظر عن مدى الدقة في التطبيق والتعقيد في الاجراءات. بعبارة أخرى، الجوهر الواحد في مبدأ علي والمبدأ الديمقراطي والجمهوري الانتخابي الشعبي، والفرق في الأعراض. ويقينا لا السنة ولا الشيعة فعّلوا هذا المبدأ العلوي بالأمس، ولا هم يفعلونه عموماً اليوم، ولا الإباضية ولا أحد في الأمّة عموماً، إلا قليلاً في بعض المواضع على ما فيه، وحتى في هذه المواضع لم ينشأ العمل الديمقراطي والانتخابي طوعاً من داخل قلب الأمّة بل قلوب الناس هناك تهفو إلى أيام السلطنة والفرعنة وتأمل بـ"عودة الخلافة" بأشكالها المختلفة، ولا يزال الناس اليوم يحاربون علي بن أبي طالب كما حاربوه بالأمس وهم لا يشعرون، لأنهم يحاربون المبادئ التي قام بها ودعا إليها.

قال علي {فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت والمحجّة قد تنكّرت}

حين أمرهم بأن يدعوه ويلتمسوا غيره، فسّر لهم سبب هذا الأمر. وهذا بحد ذاته على الطريقة القرءانية في الجمع بين الأمر والخبر أو الأمر والفكر أو العلم والحكم. مثل قول الله " لا تقف ما ليس لك به علم" فنهى، ثم فسّر علّة هذا النهي الفكرية العلمية الواقعية فقال "إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا"، فمن عقل الفكرة كان أقرب إلى طاعة الأمر. كذلك هنا. خاطب علي عقول الناس، ولم يكتف بالأمر والنهي على طريقة الجبابرة الذين السؤال بـ"لماذا" عندهم مساوٍ للثورة عليهم ويستحق صاحبه القتل بل القتل القبيح عندهم وأدناهم مَن يقول أن السؤال بـ"لماذا" قلة أدب وعلامة تمرّد خبيث في نفس صاحبه. إلا أن علي مع القرءان، ففسّر لهم.

فكرة علي هنا تدور حول وصف الأوضاع النفسية والاجتماعية الجديدة. وهنا يبيّن علي أصلاً للعمل السياسي السليم، فبعد أن بيّن الأصل الأول الذي هو عدم فرض النفس على الناس بالجبر بل لابد من اختيار الناس للأمير (وهنا كلمة "أمير" ليست بمعناها الجبري بالضرورة، فهذا مصطلح مشوّه ممسوخ نشأ لاحقاً، فمعناه الجوهري هو صاحب الأمر لكن كيف صار صاحب الأمر؟ تلك قضية أخرى، فأمير اختاره الناس كعلي وأمير تجبّر على الناس كمعاوية، ثم الناس بعد ذلك أمثال علي على درجات أو أمثال معاوية على دركات)، جاء

هنا ووضع علي أصلاً ثانياً وهو تبيين رؤية المرشح السياسي للنفوس والمجتمع والعالَم، حتى يفهم الناس كيف ينظر مرشحهم للوجود ويعرفوا عقله وبالتبع يسشعروا ما الذي سيعمله لأنه أخبرهم بصراحة كيف يفكّر وينظر للعالَم والأوضا ع عموماً. هنا بيّن علي أربعة أمور: القلوب والعقول والآفاق والمحجّة. فجمع بين الكلام عن القلب والعقل أي أهل الإيمان وأهل الفكر وذلك يجمع الناس عموماً فإن الناس إما تابع لقلبه وإما تابع لعقله وإما تابع لكلاهما على توازن ما بينهما، قال الله "إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب" فالقلب مصطلح قرآني خاص يدلّ على قوة ووجود شيء يكفي نفس وجوده لتحصيل الذكرى ومعلوم أن الذكرى "تنفع المؤمنين" فقط ولا تنفع الكافرين، بالتالي الكلام عن القلب هو كلام عن المؤمنين. ثم باقي الناس أصحاب عقل على درجات مختلفة في القوة العاقلة، وأما المجانين فلا كلام معهم وعنهم أصلاً. فلما كان الأمير سيحكم في أمّة فيها مؤمنين وغير مؤمنين، بيّن حال منشأ أحوالهم وأعمالهم بالرجوع إلى مصدر ذلك وهو القلب في المؤمنين والعقل في غير المؤمنين. فبدأ علي بنظرته إلى الإنسان، ورؤيته لمصدر أحوال وأعمال الناس، فبدأ من البداية العليا. ثم بيّن علي حال الآفاق وهي البلدان المختلفة وهي من قول النبي عن الذي يكذب الكذبة فتذهب "في الآفاق" أي في الناس في مختلفة البلدان والمواضع السكنية. والمحجّة التي هي الطريقة كقول النبي "تركتم على المحجّة البيضاء" فالمحجّة تشمل طريقة تعامل الناس مع أمر الإمارة وسياسة الدنيا، وتشمل طبيعة تدين الناس ومذاهبهم في الدين، كلاهما كان مزرياً في عين علي.

الذي يهمّنا بالخصوص هنا هو أن علياً بيّن لهم نظرته "السوداوية" إن شئت للأوضا ع النفسية والاجتماعية. فلم يسعى لجذبهم إليه بالتصورات الإيجابية الكاذبة، وبيّن لهم الأمر كما يراه بدون تزيين ولا تحريف. كشف لهم عقله ووضع عينه أمامهم لينظروا في عقله ويروا من عينه، ثم لينظروا إن أرادوا أميراً يرى العالَم الإنساني والسياسي بهذه الطريقة أم لا. ثم زاد على ذلك فقال بعدها ما هو أشدّ.

قال علي {واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب}

هنا يشترط عليهم أن يعمل بما يعلم، بدون اعتراضاتهم. طبعاً هذا لا يعني أنه لن يستمع لمطالب الناس، لأنه واقعياً بعد ذلك فعل ذلك كما في قضية التحكيم حين استجاب لمطالبهم بالرغم من معارضته الشخصية لذلك، كما فعل النبي حين أراد القتال داخل المدينة يوم غزوة أحد فلمّا أصرّ من معه على الخروج إلى أحد خرج بهم بالرغم من مخالفتهم رأيه في ذلك، وكما انهزم المسلمون في أحد عسكرياً (وإن فازوا دينياً بتعلّم درس طاعة النبي)، انهزم الذين طلبوا من علي التحكيم حتى ندم مَن ندم وفشل مَن فشل وجعلوا الكرّة لحزب معاوية عليهم.

فحين يقول {ركبت بكم ما أعلم} بيّن أمراً ليس من "الحنكة السياسية" عند الخبثاء إعلانه. فحتى اليوم نرى ورثة بني أمية-ورثتهم في السفالة-يعلن طاغيتهم أنه يسير مع " الشارع" يقصد عامة الناس، ويقول بعض دعاتهم أنهم يريدون فصل الملك عن المؤسسة الدينية وربط الملك بالشعب، وما إلى ذلك من الأكاذيب المغرقة في الظلمات. حتى الطاغية اللعين يوهم الناس في البدء حتى يجذبهم بأنه سيعطيهم ويطيعهم ويتبعهم ويفعل ما يشاؤونه، حتى إذا نال السلطة واستقر له الأمر فعل ما يشاء ونكّل بخصومه كما سنرى ذلك لاحقاً إن شاء الله حين يتكلّم علي عن بني أمية. المهم، علي أعطاهم إياها كما نقول "في الوجه"، وواجههم واشترط عليهم شرطه. فليس فقط لم يسعى وراءهم، بل لما جاؤوه اشترط عليهم شروطاً صعبة ورؤية صعبة فإما أن يقبلوها وإما أن يدعوه ويلتمسوا غيره. هذه العزّة العلوية هي روح الديمقراطية، لأنها مبنية على الصراحة والصدق ووضع الأمر بوضوح أمام الناس ليختاروا أميرهم على بصيرة من البدء.

{وإن تركتموني فأنا كأحدكم}

أصل المساواة المطلقة بين الناس في أمر الإمارة. يعني علي كأي واحد من الأمّة في هذا الجانب، والجانب هو الجانب السياسي الدنيوي، ومن المعلوم أنه ليس كأحدهم في أمر العلم الديني والمقام عند النبي "أنتم مني بمنزلة هارون من موسى" و "يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله" و "أنا مدينة العلم وعلي بابها" ونحو ذلك. يقول {أنا كأحدكم} في موضوع الكلام وموضوع الكلام هو الإمارة وولاية أمور الناس الدنيوية السياسية. وهذا أصل أصول الديمقراطية، مساواة الكل حتى مساواة العظيم في باب مع الحقير في ذات الباب، طالما أن الباب ليس باب السياسة. فالعبقري في الفيزياء له صوت واحد في الديمقراطية كالذي لا يعرف جدول الضرب، كما أن علي مثل أي واحد في الأمّة بالرغم من أن شعرة من لحية علي قد يكون فيها نور وروح أكثر من أجسام أمم.

{ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم}

القيد هنا {أمركم} وهو قيد ضروري. لأن السمع والطاعة في حدود {أمركم}. وأما في أمر الله وأمر الفرد المستقل عن الأمّة، فهذا ليس لهم سلطة عليه ابتداءً حتى يكون لهم سلطة إيجاب السمع والطاعة فيه انتهاءً. من هنا كان علي إذا رأى مخالفة في سنّة النبي أيام عثمان مثلاً يعلن بمخالفة ذلك، وكذلك في كتابة القرءان أيام أبي بكر فأعلن مصحفه بالرغم من رفضهم له، وهكذا. في أمر الدين والعلم والحق، الكلام حر والدين حر ولا إكراه فيه ولا

إلزام لكاره عليه. وأما في ما سوى ذلك من أمر الأمة المشترك، فعلي مثل أي فرد آخر في الأمة عليه فرض السمع والطاعة للولي الشرعي، والولي الشرعي هو الذي {وليتموه أمركم} أي ولاه الناس عموماً أمرهم. هذا هو الأصل، وما سوى ذلك فتابع له ومتفرع عليه.

{وأنا لكم وزيراً خير لكم منّي أميراً}

هذه أيضاً تنقض ما يقوله الشيعة عموماً، وكذلك تنقض عقيدة السنّة في الخلفاء الأربعة، لأنه إن كانت النوبة جاءت من عند الله ورسوله ووبيان رسول الله أن علي لابد أن يكون الأمير حصراً وفرضاً من أول يوم أو في رابع خلافة، فما كان ليسع علي أن يقول للناس هذه العبارة، فضلاً عن أن يقول لهم {التمسوا غيري}. فلو كان الله والنبي قد جعله أميراً أولاً أو رابعاً، لوجب عليه أخذ الإمارة حين جاءته لأنها عادت إلى صاحبها الأول، ولابد عليه أن يقبلها حين جاءته بعد عثمان لأن الخلفاء أربعة كما يزعمون ودور علي هو الرابع فإن التمسوا فعلاً غيره فسيكون هذا الغير هو الرابع وفي هذا نقض للعقيدة التي يزعمون أن النبي علّمها أو هي " السنة" النبوية. كل هذا كذب في كذب.

علي يسير على الأصل النقي، وهو أن أمر الإمارة أمر الناس، لأنه يتعلق بحقوق الأمّة النفسية والمالية، وهي ليست من أمر الله والرسول، بل هي أمر الناس أنفسهم فلهم سلطة تولية من يشاؤون وعزل من يشاؤون. وعلى هذا الأصل، بيّن علي أنه حسب تقديره وقد صدق تقديره لن يتحمّلوا إمارته فخير لهم أن لا يكون أميراً لهم. فعصوه في هذه أيضاً، ولم يعقلوا عنه. وانتهى الأمر بأن دعا عليهم علي بأن يبدلهم الله به شرّاً لهم منهم بأمر النبي له بالدعاء عليهم، وقد حصل ذلك ولازالت الأمّة تحت نار تلك الدعوة العلوية إلى اليوم، حتى يرجعوا إلى مبادئ علي، فالمبادئ العلوية لما أخذها بها الغرب خرجوا من البربرية والتخلف والضعف الذي كانوا فيه حتى سادوا العالَم من الناحية السياسية والعلمية الطبيعية، وهم قد أخذوا ببعض أهم تلك المبادئ لا أقلّ الأصول التي بيناها هنا، ومع الأخذ الناقص بها عن درجة الكمال المطلق، ومع ذلك صاروا إلى ما هم فيه وأمّتنا لا تزال على ما هي عليه بل من سيء إلى أسوأ كما هو الحال اليوم مثلاً.

اعتراض علي على أبي بكر وعدم مبايعته في أول الأمر لم يكن إلا لأنه رأى أنهم استبدوا بالأمر دونه، بمعنى أنهم سلبوه حقه في الاختيار والمشاركة في صنع الخيار. لكن بعد ذلك تنازل عن ذلك حين رأى ما رأى من الوضع العام للأمّة، كما قال هنا {وإن تركتموني فأنا كأحدكم} وقال {دعوني والتمسوا غيري}. وفعلاً بدأ الاستبداد والتسرع في الاختيار دون

دخول لا أقلّ أهمّ ممثلي ورؤساء الأمّة في الشورى، "كيف ذا والشورى غُيّب" كما قال علي. وبدأ الأمر بتغييب أمثال علي عن الشورى، ثم انتهى بتغييب الأمّة كلها إلا عصابة الطاغية. فاعتراض علي في محلّه، وقد أخطأ أصحاب السقيفة فيما فعلوه وقد سنّوا سنّة تغييب الشورى عن الأمّة من ذلك الوقت حتى يومنا هذا.

ورد عن علي أنه قال للناس أن إمارتهم لا تكاد تساوي عنده "عفطة عنز". هذا كلام عن الإمارة وليس عن الإمامة. أي هو كلام عن السياسة وليس عن الدين والروحانية. فإن تسمية الإمامة ومقتضى "من كنت مولاه فعلي مولاه" بعفطة عنز أقلّ ما فيه سوء الأدب وأوسط ما فيه الكفر، وحاشاه عن ذلك كله. فالأمر ينقسم إلى أمر الله وأمر الناس. أو أمر الدين وأمر الدنيا. فأمر الله والدين هو الذي عبّر عنه النبي حين قال "من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه" وهنأه عليه حتى عمر بن الخطاب واتبعه عمر في هذا الباب حتى قال مقولاته المشهورة في تمسّكه بعلي وقول علي مثل "لولا علي لهلك عمر" و "لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو حسن". وأما أمر الناس والدنيا، فهذا راجع إلى الناس، فإن اختاروا أهل الله والدين من الصالحين لذلك فهم وما اختاروا وإن اختاروا غير ذلك فعلى رؤوسهم ثمرة اختيارهم، وفي هذا الصنف قال علي هنا {دعوني والتمسوا غيري}، وإلا فقد رأينا علي نفسه يدعوا الناس إلى نفسه وأهل البيت لأخذ الدين والعلم الإلهي منهم ويحذرهم من الذهاب إلى غيرهم. وهذا بلغتنا المعاصرة هو خلاصة فكرة الدولة الحديثة العلمانية كما هي في صورتها الأمريكية مثلاً، حيث الدين للناس والكلام حر للجميع والناس سواسية "شخص واحد صوت واحد".

هذا فيما يتعلّق بالخطبة الأولى. وهي ما يمكن تسميتها بلغة معاصرة: أصول الديمقراطية. وأما الخطبة التالية، فيمكن تسميتها بلغتنا: آثار الملكية. فتعالوا ننظر إن شاء الله لنرى.

قال علي عليه السلام {أما بعد أيها الناس. فأنا فقأت عين الفتنة ولم تكن ليجرأ عليها أحد غيري بعد أن ماج غيهبها واشتدّ كلبها}

خلافاً لما مضى من كلام علي عن تركه والتماس غيره، هنا نجد الإمام يدلّ على نفسه ويُظهر شرفه. وبدأ بأوّل صفاته البارزة وهي الجرأة على الفتنة. ما هي الفتنة؟ تحوّل الأمّة من أمّة دين إلى أمّة دنيا تستغل الدين. ومن أبرز آثار الفتنة أنها حجبت منع الناس حقّهم في اختيار ولي أمرهم، وصار الأمر جبرية وبالقتال وفرض اختيار القلّة على الكثرة. لماذا لم يجرأ عليها أحد غير علي؟ لأن غير علي إما أناس لهم مصالح من النظام الجديد يخافون على

ضياعها، وإما أناس يعيشون تحت القهر والذل والاستغفال الشائع وتم بتر رجولتهم بسبب ذلك، وإما أفراد معزولون ليس لديهم سلطان من الله ورسوله للقيام بالتغيير والتجديد في الأمّة.

قال علي {فاسألوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتُضلّ مائة إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومَن يُقتَل من أهلها قتلاً ويموت موتاً. ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الأمور وحوازب الخطوب لأطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسئولين وذلك إذا قلصت حربكم وشمّرت عن ساق وضاقت الدنيا عليكم ضيقاً تستطيلون معه أيام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم}

هنا أيضاً نجد الإمام يدعو الناس إلى نفسه، فلاحظ الفرق ما بين {دعوني والتمسوا غيري} وبين {فاسألوني قبل أن تفقدوني}، فإن الفرق بينهما هو الفرق ما بين الإمارة والإمامة، أو الدنيا والدين، أو السياسة والمعرفة. النظام العام الأنفع للإسلام والملائم لمبادئ النبي وعلي هو النظام المعروف اليوم بالعلماني بالمعنى العام لذلك، والمقصود أن تكون الدولة السياسية مبنية على أمر الناس، والأمّة الروحية مبنية على أمر الله ورسوله، ويتم تخصيص مجال الدولة لأمور المعاش والحقوق البدنية والمالية فقط، بينما مجال الدين أمور المعاد والحقائق الإلهية والعلمية. وفي هذا الجو النظيف الحر، يمكن أن يلتمس الناس مَن يشاؤون بنظام معتدل مَن يقوم بأمور معاشهم، أمور "عفطة العنز" بتعبير علي، ويدعو الدعاة إلى أنفسهم وكلامهم وأفكارهم وعقائدهم بحرية، فيقول أحدهم {فاسألوني قبل أن تفقدوني} إن شاء ويدعي حتى أمام مَن ينكر عليه ذلك أنه يعلم الغيب إن شاء ويفضّل نفسه على الآخرين إن شاء كما فعل علي هنا.

من المبشّرات في كلام علي هنا قوله {حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم}، فإنها بشرى بأن كل الجهل والضلال والقتل والضيق والبلاء الذي سيحدث على الأمّة سيكون له فتح وفرج ومخرجاً بإذن الله تعالى، بشرط بقاء البرّ في طائفة من الأمّة على الأقلّ.

جعل الفئة المعتبرة هي ما كان فيها مائة من الأتباع وثلاثة من الرؤساء أي الناعق وهو الذي يدعو الغنم لتجتمع أي هو الداعي، والقائد هو الرئيس المتبوع أمره، السائق هو العسكري أو القوي الذي يدفع الناس من خلفهم ويحمي مؤخرتهم. فالفئة تقوم على ثلاثة، داعي ومتبوع وضابط، أو بعبارته ناعق وقائد وسائق. ثم هؤلاء الثلاثة يجمعون الناس، فإذا بلغوا مائة صارت فئة معتبرة. الفكرة هنا هي أن الفئات ستكثر في الأمّة، وسيحارب بعضها

بعضاً، وهذا كتشتيت بني إسرائيل وتفرقهم، وكذلك هو من مصاديق "يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض". فما هو مبدأ التشتت هذا؟ هو عدم وجود نظام معقول مقبول للعامّة للعمل السياسي، فإن هذه الفئات ستفترق ويحارب بعضها بعضاً فهي في المحصلة جماعات سياسية وإن توسّلت الدين ومن هنا أشار إلى الهداية والإضلال. وهذا مفهوم وهو الواقع إلى اليوم، لأنه لا مجال للعامّة لمعرفة الأمير من أمر الله لأن الوحي العام انقطع بموت النبي، ومعرفة الأمير بتأمير النبي كما كان يفعل في حياته انتهى بموته عليه السلام، ومعرفة الأمير بنصوص القرءان والسنّة أيضاً مستحيل لأن هذه لا تعيّن شخصاً والكل مختلفون حتى الشيعة الذين يقولون بالنص اختلفوا كثيراً جداً من أول يوم إلى يومنا هذا وبكل طوائفهم الكبرى فضلاً عن الصغرى، فلا يبقى للأمّة إلا اختيار الأمير بانتخاب العامّة أي بلسان اليونان الديمقراطية، وإما اختيار الأمير بالعنف والقتال والتذابح والمنتصر هو "ولي الأمر"، وحيث أن الأمّة رفضت مبدأ {التمسوا غيري} أو "أمرهم شورى بينهم"، فلم يبقى إلا مبدأ العنف وهو ما حصل في الماضي ولا يزال هو الحاصل اليوم. ثم كل دولة تنشأ على العنف وتزعم أنها بعدما وصلت تريد تأسيس أمرها على الشرعية الدينية أو المصلحة وما أشبه وهذا لا ينفع فإن ما قام على شيء استمرّ قيامه بشرط ذلك الشيء وجاز نقضه وتغييره بعين ذلك الشيء، فليس من حق فئة بدوية أو عسكرية مثلاً تقيم دولتها بالعنف والقتل والحرب والانقلاب ونحو ذلك، ثم بعدما يستقرّ لها الأمر تريد من الناس أن لا يفعلوا معها مثل ما فعلت هي معهم من قبل، فهذا أمر لن يقبله المعارضون وما أكثرهم وسيبقى في نفوس العامّة شيء مهما سكتوا مؤقتاً، ثم تخرج الخوارج وتثور الثوار وتغزو الغزاة وينقلب الانقلابيون فتتغيّر الدولة، وهلمّ جرّاً. وهذا ما سيحقق قول علي هنا، فإنه كشف عن ما سيقع لأنه من آثار مبدأ عنف الفئة بدلاً من مبدأ تولية الأمّة. لذلك ختم وصف الفئة بذكر القتل والموت، لأن الفئة ستقوم على تجميع الناس الذين سيكونوا كالأنعام لا يسمعون ولا يعقلون وهمهم فقط تأسيس دولة جديدة لهم وأكل الدنيا بتجمعهم ولذلك عبّر عن الداعي بالناعق وهو الذي يجمع الغنم لأن الناس في هذه الفئات سيكونون في حكم البهائم من حيث أن شهوتهم ستسيطر على عقولهم وهمهم سيكون الدنيا لأنفسهم كيفما اتفق. وقال بعدها {وذلك إذا قلصت حربكم وشمّرت عن ساق} فيشير إلى تحارب هذه الفئات وأنها أصلاً تجمعت من أجل الحرب. ثم قال {وضاقت عليكم الدنيا ضيقاً تستطيلون معه أيام البلاء عليكم} فأشار إلى فترة زمنية طويلة من الحروب بين الفئات بحثاً عن الاستقرار السياسي ولن يحصل، ويشهد لصدق قول علي هنا تاريخنا كله من تلك اللحظة التي تكلّم فيها إلى ساعتنا هذه في القرن الرابع عشر، أربعة عشر قرناً من {أيام البلاء} ولا زالت مستمرة، قد كان هذا الأمر في الأرض كلها وليس فقط في بلاد الإسلام الأول الكبرى

أي الحجاز واليمن ونجد والشام والعراق ومصر ونحوها. ثم جاء الفتح، بعدما وقع قول الله {وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم}، فاستبدل الله القوم بغيرهم وهم نخبة من الأوروبيين الذين كانوا بالأمس القريب همجاً متخلفين يعيشون تحت مبدأ العنف كما يعيش تحته العرب، وكانوا أيضاً فئات متحاربة، فأخذوا شيئاً من مبدأ اختيار الأمّة كبديل وأمور أخرى، وبالرغم من كل ما فيهم من سوء وكفر في أبواب أخرى من الحياة، إلا أن أخذهم بهذا المبدأ شيئاً فشيئا ولا زال يخرجهم من الحرب إلى السلام ومن الجهل إلى العلم ومن الوحشية إلى الآدمية، حتى نشر بعض الصوفية والإسماعيلية ونحوهم شيئاً من أنوارهم على بعض نخبة الأروروبيين الذين جاءوا أيام الحروب الصليبية فرجعوا بذلك النور إلى أوروبا وكوّنوا جماعة ضدّ الملكية والكنيسة، ثم حاربهم الملوك والباباوات فاختفوا وعملوا في السرّ، ثم بدأوا بنشر تلك الأفكار النورانية تدريجياً وجنّدوا مَن جنّدوه حتى أشعلوا الثورات ضد الملكية والكنيسة، وذهب خيرتهم إلى أمريكا وأقاموا نظاماً جذوره ضاربة في الحرية والعقلانية والمساواة وبدأت شيئاً فشيئاً تخرج قوى هذه الجذور حتى بلغوا ما هم عليه اليوم ولا زال الإصلاح جارياً فإن الجذور صالحة لكن ما فوق الأرض من الأمم فيهم فساد كثير والإصلاح عملية مستمرة لا حد لها. هذه نفحات من قول علي {حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم}، ولو عقل المسلمون ورأوا ما فعله ذلك النور لعرفوا أنهم إن أخذوا هم ومن قلوبهم وليس فرضاً من الخارج بنفس تلك المبادئ وتحوّلوا من عنف الفئة إلى انتخاب الأمّة، لكان هذا مع نور الإسلام سبباً بإذن الله لتفجير أنهار أنوار في الأرض أعظم من كل ما مضى من التاريخ الذي يمجّده الجاهلون ويعكف عليه المشركون بالله الحي القيوم الذي يُنزل ماء الحياة من سمائه فيحيي به الأمم بعد موتها إن قبلت وشربت منه.

قال {إن الفتن إذا أقبلت شبّهت وإذا أدبرت نبّهت. يُنكَرن مقبلات ويعرفن مُدبرات. يحمن حول الرياح يُصبن بلداً ويخطئن بلداً.}

هذا شرح للفتنة من حيث معناها المجرّد. وبعد هذه الفقرة سيجسّد علي الفتنة كما ظهرت في زمنه. فالتجريد قبل التجسيد، وفهم الفكرة قبل رؤية الصورة.

{إذا أقبلت شبّهت وإذا أدبرت نبّهت} موقفنا من الفتنة لابد أن يكون حين تُقبِل وليس حين تدبر، لأن العمل مبني على الحاضر وما يحدث الآن، فإذا أخطأت الآن فلن ينفعك أن تعرف الخطأ في المستقبل لأن المستقبل له فتنة أخرى حاضرة وقد تختلف عن الماضية ولابد أن تتخذ موقفاً من الفتنة الحاضرة في زمنك. يشبه هذا شراء الأسهم في السوق، فإن أي جاهل يستطيع أن ينظر إلى حركة السوق في الماضي فينظر متى كان السعر منخفضاً ثم ارتفع

فيقول "لو أني اشتريت هنا لكسبت الكثير" ثم قد يضع المؤشرات التي يزعم أنها تدلّ على أن السوق سيرتفع بعد ذلك المنخفض، فإذا قلت له "يا فالح، تعال وطبّق مؤشراتك على وضع السوق اليوم وأخبرنا ماذا سيحدث غداً" فلن يستطيع ذلك، وأنت لا تربح حين تتنبّه إلى ما حدث في الماضي لكنك تربح حين تشتري وتتخذ قراراً صحيحاً في الحاضر. كذلك الحال في الفتنة. الفرق الأكبر بين المثل الذي ضربناه والفتنة هنا، هي أن الموقف من الفتن لابد أن يكون بناء على مبادئ عقلية وروحية، وليس بناء على عواقب دنيوية مادية. نعم في التجارة قد يهمّك العاقبة الدنيوية، لكن في الفتنة العاقبة هي الآخرة والمفتاح هو العقل والحق الآن. لذلك قال علي {إذا أقبلت شبّهت} شبّهت على الذين ينظرون فقط إلى الظواهر، ويعملون بناء على العواقب المادية، فهؤلاء لا يعرفون في أي صف يقفون وماذا يقولون وماذا يفعلون. كأن تنظر إلى جيش علي وجيش معاوية مثلاً، فإن طالب الدنيا سيعتزل ذلك ويقول "أنا مع مَن غلب" لأنه يخاف أن يقف مع علي فينهزم جيشه فيسومه معاوية سوء العذاب، ويخاف أيضاً أن يقف مع معاوية فيخسر فيُقتَل على يد جيش علي، فلأنه طالب دنيا وناظر للمظاهر المحيرة فلن يستطيع اختيار موقفه. لكن إن كان صاحب مبدأ وقال "أنا مع مبدأ اختيار الأمّة. علي جاء باختيار الأمّة، معاوية يريد التغلب بالقهر. إذن أنا مع علي". ثم ليحدث ما يحدث بعد ذلك، فإنه على حق. كذلك إن كان صاحب إيمان وقال "أنا مع قول النبي. النبي دلّنا على فضل علي وكونه على الحق، ومعاوية صاحب دنيا والدنيا ملعونة ملعون ما فيها. فأنا مع علي" كذلك حينها لن يبالي لأن عاقبته حسنة دنيا وآخرة أيا كانت النتيجة، لأن نفسه ستكون مطمئنة بالحق، فإن عاش عاش سعيداً وإن قُتل مضى شهيداً. وأما أهل الدنيا فإنهم لا يعرفون الفتنة إلا حين تُدبر وتنتهي وهذا كمثل المفكرين الكثر الذي يقرأون التاريخ اليوم في بلاد العرب ويحكمون على قضايا قبل مئات أو آلاف السنين، ويحددون مَن هو المحق والمبطل فيها، فإذا نظرت إلى حياتهم وجدتهم حيارى جهالاً بل لعلهم بل أكثرهم بل معظمهم يقف في زمانه نفس موقف ذلك المبطل في الزمن الماضي الذي جزم وقطع وأقسم بأنه مبطل في محاضراته اللفظية وأوهامه الخيالية حين كان يقرأ في خلوته ويؤلف المقالات في بيته. تجدهم باللسان مع مبدأ اختيار الأمّة، بالواقع مع طغاة الأمّة. يصلّون على علي بالأقوال لكنهم يعبدون معاوية بالأفعال.

{يُنكَرن مُقبلات ويُعرَفن مدبرات} هذا اللون الآخر، وليس بتكرار للعبارة الماضية. فالعبارة الماضية بالنسبة للمفكرين والناظرين، فإن هؤلاء هم الذين تشتبه عليهم الأمور ويتنبهون لها فإن الاشتباه والتنبه من مواقف العقل وآثار النظر. لكن هذه العبارة تشير إلى العامّة، فهؤلاء هم الذين ينكرون الفتنة حين تُقبِل يعني ينكرون أنها فتنة أصلاً ويجزمون بأنها ليست فتنة بل

لعلهم يجعلونها عين المصلحة ولباب الديانة. يرون مثلاً طاغية في أول نشوء أمره، كما يحدث الآن في الدولة السعودية مثلاً. أهل الفكر من أبناء الدنيا، تجدهم حيارى تشتبه عليهم الأمور، فمنهم من يقول "بل هذا مصلح وهذا تغيير وتجديد وتحسين للبلاد" مع أنه يرى في قلبه الظلم والظلمات القادمة بسبب المظالم والمفاسد الكثيرة، فلا يحسن الحكم على الوضع. وأما العامّة فإنهم بشكل عام ينكرون هذه الفتنة المقبلة، ويعتبرونها عين المصلحة والنعمة والفتح، هذا بالرغم من أنهم يشعرون بالسوء والقمع المتزايد والرعب المنتشر لكنهم بشكل عام نسوا الله فأنساهم أنفسهم فصاروا لا يبالون كثيراً بما يحدث في قلوبهم وما يرونه من إذلال ومهانة وانعدام قيمة وجودهم أصلاً وعدم المبالاة برأيهم رأساً. لكن حين تدبر ويتغيّر الحال بإذن الله سيعرفون أن ما هم فيه اليوم فتنة وأيّ فتنة. كذلك كان الحال أيام علي. وهو ما يشرحه في هذه الخطبة. فإن الناس في زمنه كانوا يرون بني أمية يصعدون، وصاروا يستخفون بعلي عليه السلام ويعارضونه معارضة الجهال ويتجرأون عليه حتى ملأوا قلبه قيحاً وجعلوه يرى الموت خلاصاً من همهم وقرفهم، فشرح لهم الفتنة القادمة وآثارها حتى يتنبّهوا لها قبل وقوع الفاس في الراس و"لات حين مناص".

فقال عليه السلام {ألا إن أخوف الفتن عندي عليكم: فتنة بني أمية}

قال النبي أن أشدّ ما يخافه على أمّته فتنة الدجال، وهنا يقول علي أن أخوف الفتن فتنة بني أمية، ما العلاقة بينهما؟ العلاقة هي أن فتنة الدجال في المثال تتمثّل في فتنة بني أمية، هي أبرز تجليات الدجال.

{عندي عليكم} فكلامه هنا خاص به عليه السلام وبالناس في زمانه. من هذا الوجه كلامه خاص ببني أمية القبيلة المعروفة. لكن لأنه يتحدّث عن الفتن من حيث المبدأ المجرّد، ثم شخّص ذلك بفتنة بني أمية، فكل ما سيقوله ينطبق على الفتنة عموماً، أي كل فتنة لها نفس جوهر فتنة بني أمية. فإن فتنة بني أمية ليست لأنهم من بني أمية، أي ليست دموية، وإلا فقد كان في بني أمية رجال صالحون ولعله كان فيهم من أولياء علي وشيعته أيضاً. فالعبرة ليست بالنسب والدم.

فما هي فتنة بني أمية؟ هي النظام السياسي المَلَكي. هي الملكية. ومن هنا اتفاق علماء الأمّة عموماً على أن قول النبي "ملك عضوض" بدأ ببني أمية، وتجد حتى نواصب عصرنا يقول قائلهم "معاوية أعظم ملك في الإسلام" فيقرّون بأنّه "مَلِك". فهذا أمر مفروغ منه، وأدلته كثيرة، ومن أول أيام معاوية شخّص أطباء السياسة من الصحابة وأبناء الصحابة أن معاوية يريد تحول الأمر إلى كسروية وهرقلية يعني مَلكية. فيمكن فهم كل ما سيقوله علي عن بني

أمية أنه كلام عن المَلَكية، لأنه كذلك. فالملكية هي الفتنة، وهي فتنة الدجال، وهي أخوف الفتن. في زماننا هذا، في بلاد المسلمين، الملكية بشكلها العائلي والعسكري هي النظام العام من المشرق إلى المغرب، وفي الاستثناءات القليلة جداً حيث لا يوجد ذلك بشكله الفجّ القبيح فإن ذلك لم ينبع من داخل المسلمين في تلك الدولة بل كان نظاماً مفروضاً من الخارج في البدء ثم استغله الإسلاميون ولا يزالون يميلون ويحنّون إلى الدجال حتى الآن، ويريدون الملكية بشكل أو بآخر. لم يقل النبي أنها أخوف الفتن، ولا علي من بعده مصدّقاً للنبي أنها أخوف الفتن من لاشيء. حتى مَن يلعن بني أمية اليوم تجده يبارك الملكية العائلية والعسكرية في بلاده أو يتمنّى "عودة الخلافة" العثمانية أو غيرها، يعني يلعن مؤسس الملكية ويتمنى عودة الملكية، وهذا أمر عجيب وكان ينبغي عليهم الترحم على معاوية حتى لا يكونوا من الشعراء الذين " يقولون ما لا يفعلون" و "كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون".

الحاصل: أخوف الفتن هي الملكية. فتعالوا ننظر ما خصائص الملكية وآثارها، كما تجلّت في بني أمية بالأمس ولا زالت في ذرية بني أمية، الذرية المعنوية، إلى اليوم، إن شاء الله.

١-{فإنها فتنة}: الفتنة في الأصل الامتحان لرؤية حقيقة الشيء واستخراج ما في نفسه. كذلك الملكية فتنة بهذا الوجه، لأن الناس مع الملك واحد من اثنين، إما منتفع لأنه من دائرة الملك وحاشيته ومن اتصل بهم فهؤلاء تفتنهم أي تجذبهم حلاوة الدنيا فتُخرج ما في نفوسهم من حب الدنيا والميل للظلم من أجل الهوى، وإما متضرر من الملكية لأنه من عامّة الناس ومن العلماء وأهل كلمة الحق والدين الذين يعانون بسبب القمع والجور والتعذيب على الكلمة والسجن ونحو ذلك، فهؤلاء يُمتحنون فإما أن يهاجروا لله تعالى ولحفظ دينهم وإما أن يقاتلوا لتحرير الناس من الملكية إن كانوا ممن له ذلك وإما أن يسكتوا ويعيشون مستضعفين أذلاء اختياراً ويقولون عند الموت "كنا مستضعفين في الأرض" فيرضون بعيشة العبيد خوفاً من الحرية، ويخضعون للطاغية كُرهاً لكسر العادة، ويثّاقلون إلى الأرض بدلاً من الهجرة بغضاً للغربة والوحدة. فالكل مفتون. الملك مفتون، من معه مفتونون، من تحت قدمه مفتونون. فيها كما قال علي {فتنة} مطلقاً وللكل.

٢-{عمياء}: "إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور"، والملكية مؤسسة على نظر عين الحس لا عين القلب، فإنها تقوم على مبدأ العنف وهو حسّي، والتخويف من العنف الحسّي، وتعيين مَن هو المحق بالغلبة الحسّية المادية. فيميل الناس تحت الملكية إلى العمى عن أمور الروح والباطن والآخرة والحق العالي.

٣-{مُظلمة}: "الظلم ظلمات يوم القيامة"، الملكية السياسية أساسها ظلم ويستحيل غير ذلك، ولابد أن ينتشر فيها الظلم بكل أصنافه بالضرورة، لأنه يستحيل إقامة وإبقاء الطبقة التي تحت الملك والتي ستكون بينه وبين العامّة إلا عبر إعطائهم من المصالح الدنيوية ما يكفي لجعلهم يخدمونه ويحاربون من أجله. كذلك لابد من انتشار الظلم الكبير لأهل الدين والحق وأصحاب الكلمة ممن يعارض الملك وجنوده وعبيده ومشاريعه.

٤-{عمّت خُطّتها وخصّت بليّتها}: الخطّة الأمر، لأن الملكية تقوم على جمع الأمر وسلطة الأمر في شخص واحد ومن يتبعه بحسب تفويضه، فلابد أن تعمّ بسلطتها الأمّة كله. فماذا عن {خصّت بليتها}؟ هي كقول الله تعالى في فرعون "إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً" فهذا من {عمّت خطّتها}. لكن {خصّت بليتها} ما جاء بعد ذلك من قوله "يستضعف طائفة منهم يذبّح أبناءهم ويستحيي نسائهم" فإن هذه الطائفة المخصوصة بالاستضعاف الخاص بالرغم من وجود قهر للجميع بشكل عام، هي الطائفة التي ترفض عبادة الملك والخضوع لسلطته المطلقة. وهذا ما سيشرحه علي بعد ذلك بقوله..

٥-{وأصاب البلاء مَن أبصر فيها وأخطأ البلاء مَن عمي عنها}: وهذا حال معارضين الملكية، فإنهم {مَن أبصر فيها}. وأما {مَن عمي عنها} وهم الكثير جداً ممن تجدهم لا يكاد الواحد فيهم في حياته كلها يخطر بباله أن النظام الملكي أمر قبيح لابد من إزالته بل لعله لا يخطر بباله نقد شيء من أعمال الملك بل ولا أصغر موظف في دائرته. فالبلاء هنا التعذيب والقتل والتشريد والسجن وبقية العقوبات الجسمانية والنفسانية التي ستصيب المبصرين، بل سيصيبهم بلاء حتى من أقرب المقربين إليهم الذين سيلومونهم على الإبصار ويتهمونهم بالجنون والخطل والخطأ وبأنواع من العناد والمكابرة لا لشيء إلا لأنهم في الحقيقة يريدون الابتعاد عن طريق البلاء المختصّ بالمبصرين. لذلك اختيار العمى هو أول عقوبة تصيب مَن يرفض مبدأ الاختيار في السياسة. من هنا لابد من انقسام نفوس الناس تحت الملكية وانقسام عقولهم وانقسام أديانهم وكل شيء آخر، لابد أن ينقسم إلى نصفين، النصف الأول صنع شخصية موافقة لمطالب الملكية المختلفة، والنصف الآخر الباطن الذي يتم دفعه بقوة نحو اللاوعي هو النفسية الفطرية التي تقول لهم غير ذلك مصداقاً لقوله تعالى "فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم". انفصام الشخصية هو "الاعتدال" في أي أمّة لديها ملكية، ثم تزداد حدّة الانفصام مع ازدياد شدّة الملكية، وكلما كانت الملكية أضعف

كلما كانت النفوس أقلّ مرضاً، فالناس تحت الملكية المطلقة لديهم أسوأ وأقبح وأمرض نفوس على الإطلاق، وأحسن منهم بقليل ودركة فوقهم في الجحيم هم الناس تحت الملكية المقيدة الدستورية، وهكذا بالتدريج في الدركات. لكن لا يخرجون من الجحيم إلا بالخروج من الملكية كلها، مطلقها ومقيدها.

٦-{وايّم الله لتجدنّ بني أميّة لكم أرباب سوء بعدي كالنّاب الضروس تعذمُ بفيها وتخبط بيدها وتزبن برجلها وتمنع درّها}

أوّل فكرة فكرة وصف بني أمية بعبارة {أرباب سوء}. وكلمة {أرباب} مفتاح أساسي. فكما قال فرعون "أنا ربكم"، ولم يقصد خالقكم بالمعنى التكويني فهذا ظاهر الفساد ولا يقول به ولا حتى مجنون متوسط الجنون. المعنى {إنا فوقهم قاهرون} و {قومهما لنا عابدين}، ولم يقصّ علينا الله أن بني إسرائيل صلّوا وصاموا لفرعون، كما أن {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله} ليست بالصلاة والصوم ولكن باتباعهم في التشريع. فالربوبية تشريع، بعبارة اليوم هي السلطة التشريعية، في الأصل، وما يتفرع عنها من سلطة التنفيذ وسلطة القضاء وكلاهما من فروع سلطة التشريع لأن الأمر أولاً وتنفيذه ثانياً وإن وقع في تفسير الأمر أو تطبيقه خلاف جاء القضاء ثالثاً، فهي قسمة عقلية واقعية. الملك يجمع السلطات كلها في شخصه، وبالقهر. هذه خلاصة النظام الملكي الخالص. فإذا وجد الملوك مقاومة من العامّة وبعد مذابح ومظاهرات عنيفة وحروب أهلية، قد يتنازل أو يفوّض بعض تلك السلطات لأشخاص ينتخبهم العامّة مثلاً أو يقيّد تصرّفه وأمره فلا يتصرف ببعض الحقوق والحريات مثلاً، لكن هذه كلها تشويهات للنظام الملكي الخالص. علي هنا يشرح النظام الملكي الخالص. وهو تحوّل الأمير إلى رب، وليس أي رب بل رب سوء. فإن السلطات قد تجتمع في شخص واحد لكن طوعاً وإيماناً من الناس بذلك بحرية، كما تجد مثلاً بعض الناس يطيع أباه في أمره وينفذ أمره ويرجع له في تفسير أمره وتطبيقه لكنه يقوم بذلك حباً واحتراماً لا قهراً وعنفاً، كذلك مثلاً تجد بعض الناس يجمع السلطات في شيخ طائفته وشيخ طريقته ويعطيه فوق ما يُعطاه الملوك الجبابرة من المحبة والاتباع بدون أن يمسّ الشيخ شعرة من رأسه بل يقوم بذلك حباً وإيماناً. فمن هذا الوجه لابد من التفريق ما بين أرباب السوء وأرباب الحسن. فيكون {أرباب سوء} بمعنى ربوبيته مبنية على سوء القهر والعنف. هذا تأويل. وتأويل آخر، أن موضوع أوامرهم وأفعالهم وأحكامهم سيكون سيئاً، أي سوء موضوعي. والحق أننا في الملكية سنجد السوء بالمعنيين.

ضرب علي مثلاً للملوك الخالصين فقال {كالنّاب الضروس} يعني الناقة المسنّة السيئة الخُلق. لاحظ هنا كشف علي لحقيقة النظام السياسي وما يجب أن يكون عليه في نفس الوقت الذي بيّن فيه سوء هذا النظام الملكي الأموي. فالناقة هي ما تركبه وتشرب منه، فالأصل في تربيتها الانتفاع بها في في الحركة والتغذية. كذلك النظام السياسي، المفروض أنها شيء يركبه الناس وينتفعون به، أي هو وسيلة لخدمة الناس في أموالهم ونفوسهم وحقوقهم وحرياتهم. الملكية الأموية ستغيّر ذلك، ستجعل النظام السياسي خصماً وعدواً وسبب بلاء للناس. فهم كالناقة المسنّة بمعنى أنه نظام لا يُنتفع به بيسر أو مطلقاً كما لا يُنتفع بالناقة المسنة هذه، وتوجد إشارة باستعمال كلمة تدل على كبر السن لخاصية من خصائص الملكية وهي الجمود والاعتماد على القديم وهذا مفهوم لأنها تبني على الغصب الأول القديم الذي حصل وتؤسس عليه الانتظام والحق، خلافاً للنظام الشوري فإنه حي متجدد كما أن الأمّة حية متجددة إن تُركت بغير قمع من فوقها وسحق من طغاتها وتجميد من شيوخ دجلها. وباستعمال كلمة {الضروس} يشير إلى سوء الخلق والغلظة، وهذه أيضاً خاصية للملكية فإنها دائماً عنيفة في الداخل وإن كانت حملاً وديعاً مع الدول الأخرى، شراستها على شعوبها وقبائلها تطحنهم طحناً وتروضهم بالقهر ترويضاً حتى يسهل هضمهم واندماجهم في النظام قلباً وقالباً.

ثم بيّن عمل الفم واليد والرجل والدرّ. وهذا مأخوذ من قول النبي "مثل المؤمنين..كالجسد". فهنا شبّه علي النظام الملكي بالناقة، ثم ذكر الأعضاء. فبدأ بذكر السنّ والخُلق السيء، وهذا تعبير عن نفس النظام وروحه الخبيثة ويمثّل الملك فيه الذي هو قطبه وقلبه. ثم ذكر الأعضاء وتمثّل أجهزة الدولة وأعمالها المختلفة.

فبدأ بالفم فقال {تعذم بفيها} وهو الأكل بالعضّ وبجفاء، وهذا يمثّل أكل أموال الناس بالضرائب ونهب خيرات البلاد. كما تجده مثلاً في السعودية حيث أبرز صور الملكية العائلية الخالصة الآن ومنذ القديم، وكذلك في مصر حيث الملكية العسكرية.

وثنّى باليد فقال {وتخبط بيدها} وهذا يمثّل العدوان على علماء الأمّة وأهل الفكر والنظر فيها، فهم على مستوى اليد لأنهم فوق مستوى الرجل الذي للعامّة. فمن أشد أعداء الملكية أصحاب الدين والرأي والكلمة فيها، هم الخطر الأكبر وهم الخطر الأول. فسينال هؤلاء من خبط الدولة الشيء الكثير.

وثلّث بالرجل فقال {وتزبن برجلها} وهذا يمثّل العدوان على العامّة وطبقة العمّال والبسطاء والفقراء.

وختم بالدرّ فقال {وتمنع درّها} والدرّ مصدر اللبن، فالملكية بخيلة بطبعها ولا تنفع المال إلا حين تتوقع أضعاف ما ستنفقه، وبشكل عام يعيش الناس في فقر أو فوق الفقر بقليل ولو

كانت الدولة غنية، وإن كانت الدولة فاحشة الثراء فقد تجد الكثير من الناس من غير أتباع النظام في طبقة متوسطة لكن هذا ليس إلا لأن القطرات من الضرع الكبير قطرات كبيرة، وإلا فلابد من السعي لسلب الناس أموالهم بشكل أو بآخر، كما حدث مثلاً في السعودية في نكبة سوق الأسهم حيث قامت الدولة بحيلة جذبت بها أموال الناس ثم نسفتها، وكما يحدث الآن من الترفيه الغالي جداً لسلب أموال الأغنياء مع الضرائب وارتفاع الأسعار ومنع الدعم لسلب أموال المتوسطين والفقراء. فلابد بشكل عام من منع أكبر قدر ممكن من الخيرات عن الناس تحت الملكية، إلى الحدّ الذي لا يحدث فيه انفجار في وجوههم. خلافاً للدولة الحرة التي خيرها لأصحابها. وتُفرض الضرائب على الأغنياء والمتوسطين وتُعطى المساعدات للفقراء والمحتاجين، ولا توجد عائلة أو طبقة تملك بالقهر موارد الدولة وتتوارثها وكأنها حظيرة جدّها.

٧-{لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم أو غير ضائر بهم}

هذا ما يحدث الآن في السعودية مثلاً. يتم وبعنف تحويل الناس فعلاً كما قال علي إما إلى {نافعاً لهم} أو {غير ضائر بهم}، فالنافع هو المؤمن بهم التابع لهم المنفذ لخططهم. وغير الضائر هو الدافع الضرائب الساكت عن النقد غير المشارك في العمل السرّي أو الجهري لتغيير النظام القائم وتحرير الأمّة. فالملكية لا تريد تحويل كل الناس إلى نافعين لهم، فيكفيهم أن لا يكون الإنسان محارباً مخالفاً لهم مضراً بهم بالقول أو بالفعل. وهذا ما يوقع الكثير جداً من العامّة في الوهم، لأنهم في الواقع يقعون تحت وصف {غير ضائر بهم} فيرون الدولة لا تتعرض لهم مباشرةً فيقولون "الحمد لله نحن لم تنالنا أية أذية من الدولة فلماذا نعارضها ونحاربها ونسعى لتغييرها". لو سعت الدولة لجعل كل الناس يقعون تحت وصف {نافعاً لهم} لثار الناس عليهم حتماً. لكن يكفيهم {غير ضائر بهم}. فما الذي يريده الملك من عامّة الناس؟ يريد أن يعملوا بقوانينه، ويدفعوا الضرائب له، ويُظهروا احترامه، وإن حارب فيحاربوا عدوه، ولا ينضموا إلى خصوم دولته لا قولاً ولا فعلاً. مَن فعل هذه الأربعة فهو شريك كامل للملك في ملكه، ولذلك قال الله عن قوم فرعون وليس عن جنود فرعون ولا عن آل فرعون بل قال عن قوم فرعون "يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود"، فحتى قوم فرعون سيكون مصيرهم النار، فكما قبلوا تقديم فرعون وسكتوا على ذلك في الدنيا فكذلك يصير مقدّمهم وقائدهم إلى النار يوم القيامة. بالتالي، يمكن تقسيم الناس في النظام الملكي إلى ثلاثة طوائف: الملك وعائلته طائفة، جنود الملك وموظفيه وأعوانه والراضين به فعلياً طائفة، عموم الناس وكل ساكت وخانع ومتجاهل ومتغافل طائفة. فالملك وعائلته هم الذين قال عنهم علي {لتجدن

بني أمية أرباب سوء}، والجنود والراضين هم {نافعاً لهم}، والساكت والمتغافل التابع للأحكام الدافع للضرائب هم {غير ضائر بهم}. أو إن شئت الاختصار، فقل الملك وجنوده وعبيده.

قول علي {لا يزالون بكم حتى} يدل على أن لهؤلاء مخطط واضح عندهم، ويشتغلون ليل نهار على تطبيقه، فالأمر ليس عفوياً ولا هم في غفلة عنه. البعض يتوهم أن الملك وأعوانه يشتغلون بـ"المصلحة العامة" وما أشبه، ويحسبون أن أحوال الناس وتغيير قلوبهم والتأثير على نفوسهم ليس من مشاغله، وهذا غلط كبير شنيع يكذبه أدنى نظر في الواقع، بدءاً من الجو العام للبلاد مروراً بالمدارس والتلفاز اليوم والصحف وكل وسائل الإعلام ومَن يؤذن له بالظهور ومَن لا يؤذن له والمساجد إلى آخر القائمة. فلابد على الأبرار من الأحرار وأهل الأفكار كشف هذه الأمور كلما ظهرت وإظهار وجهها ونقدها وردّها حتى لا يقع سحرها في نفوس الناس، فإن من شأن فرعون أن يكون له قوم عملهم هو {سحروا أعين الناس واسترهبوهم}.

٨-{ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربّه والصاحب من مستصحبه}

هذا يعزز ما مضى ويشرحه. ويبيّن أن المقصود تحويل الناس إلى عبيد لهم، {كانتصار العبد من ربه} فنصّ على أن الملك الأموي يريد أن يكون رباً، ويجعل الإنسان في دولته عبداً، والتشبيه هنا مؤسس على واقع الحال.

لاحظ أيضاً تقسيم الناس إلى ثلاثة أقسام. فإنه قال {انتصار أحدكم منهم} فقوله {منهم} يشير إلى أرباب بني أمية أي الملوك. وقوله {أحدكم} يشير إلى الناس الذين قسمهم إلى صنفين. صنف انتصارهم كالعبد {كانتصار البعد من ربه}، وهؤلاء هم الذين يقررون الخروج من البلاد كالعبد الذي يفرّ من ربّه القاهر له وطريقته الوحيدة في الخلاص من الطغيان هي الفرار، كما فعل موسى "ففرت منكم لما خفتكم" وكما فعل مع بني إسرائيل بعد ذلك "أسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون". وهؤلاء عادةً ما يكونو من أهل العلم والرأي الذين نفوسهم عزيزة ولا يرضون بمذلّة الملكية ولا يغيّرون دينهم ويكفرون نعمة ربهم وأمره بالبيان من أجل الملوك. الصنف الآخر {والصاحب من مستصحبه} وهؤلاء هم الذين يصحبون الملك ومن معه ظاهراً بأجسامهم، أي الذين يعيشون تحت الملكية لكن نفوسهم تكره ذلك، فكيف ينتصرون؟ بالكلام في السرّ بدون إعلان ذلك لصاحبهم وهو متبوعهم، بمعنى أنهم يلقون الملك ومن معه بوجه، ثم إذا كانوا في خلوة ومع ثقاتهم عبّروا عن مكنون صدورهم، وقد رأيت وسمعت ذلك بنفسي حين كنت في الحجاز مثلاً، حيث وجدت الكثير حتى من عمّال الدولة أنفسهم بل وأحياناً يكون الواحد في القوات الخاصة من شرطة الدولة ويشتغل في أكثر المراكز الحساسة فيها بل قد

يكون أميراً أو أميرة بل ومن أصحاب "السمو الملكي" أيضاً، ومع ذلك كله إذا خلا ووثق بمن معه عبّر عن أبغض المشاعر تجاه الملك الحالي والنظام العام، وبعض تجار الحجاز من العوائل الكبيرة ممن نعرفهم كانوا إذا جلسوا في مجلسهم الخاص وظهر على التلفاز الملك السعودي يبصقون على التلفاز ويسبّونه، لكن هؤلاء أنفسهم إذا مرّ أمامهم سكرتير أمير البلدة ولا نقول الملك ولا الأمير فستجدهم أكثر وداعة من الحمامة، وهذا بالضبط ما قاله علي. إذا كانت الملكية جسم، فإن الرعب هو الدم، ولابد من الرعب فيها والرعب يولّد النفاق والتقية. الانتصار من الملك سيكون سطحياً وقشرياً ولفظياً عادةً، وأما في الواقع المهمّ الذي هو اتباع القوانين ودفع الضرائب وعدم المطالبة بحق الاختيار في أمور الدولة عموماً والمشاركة في صنع القرار العام بدون استبداد فئة به، فهذه الأمور لن يكون فيها انتصار أصلاً. وسيجد أصحاب الانتصار القشري شيئاً من الراحة لنفوسهم وتنفيساً بتلك الألفاظ والتعبيرات الرمزية كالبصق على شاشة التلفاز (وهو عمل أنصح به كل من يعيش في الملكية إلى أن يجد مخرجاً، وهو أن يسبّ ويلعن ولو كان خالياً ويبصق ولو رمزياً في وجه كل صورة للملك والأمراء ولو رأى الصورة في الشارع وهو يسير بسيارته، فإنه بذلك يحافظ على سلامة نفسه واستقلاليته ويبرئ ذمّته مبدئياً مع نية التغيير الجذري سواء كان بالهجرة أو بالغزوة أو بالثورة). نعم هو انتصار الأذلاء، لكنه خير من عدم الانتصار مطلقاً، بشرط أن يكون المنتصر هكذا واعياً بأن هذا عمل مؤقت مع وجود نية لديه بانتصار الأعزاء واقعياً.

٩-{ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية وقِطعاً جاهلية}

أما قوله {شوهاء مخشية} فالملكية هنا مشبّهة بالمرأة الشوهاء، لكنها مخشية أي يخشاها الناس فلا يعبّرون عن قبحها. كذلك الملكية شوهاء، روحها مشوهة وأعمالها مشوهة ومقاصدها مشوهة، القبح في أساسها لأنه الجبرية وفي مقصدها الأكبر لأنه المادية وعاقبتها الأبدية لأنها جهنّم. لذلك لا يمكن لنفوس تعاشر هذه الشوهاء إلا أن تتشوّه بها، بدرجة أو بأخرى. ومن هنا لابد من عملية علاج نفسي قوية لكل من يعيش تحت الملكية، مع وعي بذلك وعدم الخوف والتحرج منه، حتى إن كنت تعمل بكل أنواع الدواء النفسي حين كنت تحتها فاعلم قطعاً أنه أصاب نفسك شيء من التشويه بسببها، وبسبب الخشية اللعينة التي امتزجت بنفسك حين كنت تحتها. إظهار قبح الملكية جذراً وأصلاً وفرعاً وثماراً، لا يكون إلا بمقارنتها بنموذج آخر من حيث أنه "بضدّها تُعرَف الأشياء"، ومن هذا الباب لابد من مقارنة الملكية بضدّها الذي هو الديمقراطية، ومقارنة الاستبداد بالشورى، ومقارنة الاستعباد الجماعي بالحرية الفردية. وكذلك

مقارنة حياة مبنية على خشية العامّة من الدولة، بحياة مبنية على خشية الدولة من العامّة الذي هو الحال في الدولة الديمقراطية الحرة.

وأما قوله {وقطعاً جاهلية} فمفتاح كبير لواحد من أكبر الأمور المغيبة عن وعي أكثر الأمّة، وهو أن الملكية في الحقيقة إعادة لقيم وأعمال جاهلية لكن بثوب إسلامي بل بلفظ إسلامي. ومن هذا الباب قارنّا مراراً بين طريقة تفكير وعمل أهل الجاهلية مع النبي والمسلمين الأوائل وبين ما صار بعد ذلك مقنناً باسم الفقه الإسلامي أو الحكم الإسلامي. مثلاً، معاقبة الصابئ عند الجاهليين "صبأ محمد" ومعاقبته بطرق مختلفة بحسب حاله من القوة والضعف، التي صارت بعد ذلك حكم المرتد عند المتأسلمين وحكم مَن يسمونه الخارجي أيضاً. والمعاقبة على الكلمة. وأمثلة كثيرة جداً، تستطيع أن تعرفها بالتدقيق بهذا المفتاح في السيرة النبوية وأوضاع الجاهلية. ومن هذا الباب سمّى النبي أبا جهل {فرعون هذه الأمّة}، حتى تعلم أن الفرعنة كانت في مكة قريش، وانظر بعقل، إن كان المقصود ظاهر الفرعنة بالمعنى الوهمي الشائع عند الناس، فهل كان أبو جهل يقول "أنا ربكم الأعلى" و يأمر الناس باتخاذه إلهاً بالمعنى الشائع لذلك، إن كان كذلك فالحديث كذب لأنه لم يثبت عن أبي جهل أنه قال ذلك ولا فعله. لكن حين تفهم ما هي الفرعنة على وجهها، وما القيم التي تعبّر عنها، مثل القتل على الكلمة والمعاقبة على تغيير الدين والاستبداد بالرأي ونحو ذلك، حينها ستجد مصداق الحديث وتقول صدق الله ورسوله. الجاهلية حقيقة الملكية، وأما فتنة بني أمية هي أنهم جعلوا الجاهلية إسلاماً، ولا تزال الفتنة إلى اليوم، فتجد الأمة على اختلاف فرقها عموماً تسمّي طاغيتها باسم "ولي الأمر" ويطبّقون عليه قول الله "وأولي الأمر منكم"، ويتفننون في ذلك، والواقع أنهم كلهم فراعنة وملوك جبرية، حتى جعلوا الباغي المتغلّب بالقهر والعنف على الأمّة هو الإمام الشرعي وولي الأمر القرآني المفترض الطاعة من الله ورسوله، هذا وهم يسمّونه باغياً متغلباً بالسيف! قمّة الكفر وقلّة الحياء بل انعدام الحياء من الله ومن النفس، حتى صاروا يسمّون مَن كان هذا شأنه ومن لا يرضى أصلاً بأن يلتمس الناس مَن يولونه أمرهم أساساً، صاروا يسمونه إماماً ووليّاً للأمر ومهدياً ونحو ذلك من ألقاب لفظية سرقوها من معدنها الذهبي ووضعوها على بدعتهم الترابية. وبعضهم يلعن المتغلّب، ويبشّر بقدوم إمام متغلّب أيضاً لن يراعي للناس حرمة ولا لإرادتهم قيمة وسيجعل السياسة بالسيف ويبيد الخصوم ويؤسس حكمه السياسي على الاستبداد المحض ويزعمون أن الله سيؤيده في ذلك وهم يعيشون انتظاراً لمجئ مَن هذا حاله، فيا للعار والنار. لم يتفق عامّة هذه الأمّة على شيء مثلما أجمعت على سلب نفسها كرامتها وحريتها وحقّها، قطعوا رؤوسهم بسيوفهم وخرّبوا بيوتهم بأيديهم وأهلكوا أنفسهم بألسنتهم. ليس من قليل قال علي {أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية}.

١٠-{ليس فيها منار هدى ولا عَلَم يُرى}

هذه من آثار الملكية حين تبلغ أقصى مداها وتتم مشروعها الاستعبادي، لذلك بعد هذه الفقرة لم يذكر علي شيئاً عن أخلاقهم وأعمالهم وآثارهم حتى ذكر تفريجها. فهذه الفقرة إذن تعبّر عن أقصى غايات الملوك الطاغين.

فقوله {ليس فيها منار هدى} المنار ما يوضع على الطريق لمعرفة الغاية، والغاية الله والحق والآخرة الصادقة وعلم القرءان ونحو ذلك من الغايات النورانية، والتي سيأتي عليها الملوك عن آخرها. فهذه الفقرة عن الملوك أنفسهم، بمعنى أنهم لن يؤسسوا ولن يحافظوا على أي منار من منارات الهدى. وما هي منارات الهدى؟ إما بيان إما بنيان. والملوك سيعملون على صرف الناس عن بيان الحق إما كلياً وإما بتحريفه ليناسب أغراضهم، وسيعملون على قتل أو حبس أو نفي أو جبر كل إنسان عارف بالحق على الاختفاء، وسيعملون على طمس كل بنيان شعائري أو مادي لا يناسب أغراضهم. وإذا نظرنا في الملكية السعودية التي هي أبرز مصاديق الملكية الأموية في زماننا، سنجدها قد قامت ولا زالت تقوم بكل ذلك، وحرفياً. فشيوخ الوهابية عملوا على صرف الناس عن كتب أهل العلم والعرفان التي تبيّن الدين من جهة، والنظم الدراسية والإعلامية عملت على تسطيح العقول وتجفيف منابع الروح من جهة ثانية، وحرّفوا ما لا يدري كمّيته إلا الله من أمور الدين والحقوق والحريات حتى صار من المعتاد أن تجد في تلك البلاد المقهورة إنساناً من المستعبدين يسأل وبكل قوّة وجرأة "وما فائدة الحرية أصلاً !" بل صاروا يقولون "الحرية كفر بالله ومتعارضة مع الإسلام" ونحو ذلك من علامات انطماس البيان تماماً فيهم، وأما القرءان ذاته فتحريف كثير أحاطوه به وأهمّ ما شغلوا الناس به عنه هو الاشتغال بحفظ القرءان بدلاً من دراسته وفي هذا المنزلق أوقعوا أكثر مَن له ميل إلى القرءان ومن تجاوز خدعة حفظ القرءان الوهابية أوقعوه في الاعتماد على تفسيرات الوهابية التي هي تحريفات لا تفسيرات للقرءان ومَن تجاوز تحريفاتهم رموه بالبدعة والشرك والكفر فإن كان مغموراً قد يتركوه وقد يعاقبوه وإن كان مشهوراً فله الله. هذا بالنسبة للبيان. وأما البنيان، فمن البنيان ما هو جسماني كالشعائر الدينية ومن أبرز ذلك حلقات الذكر وتجمعات تدارس القرءان وإقامة الجماعات الدينية والفكرية الحرة فهذه جماعات كفرية أو إرهابية عندهم، ومن البنيان ما هو مادي كالأبنية الفعلية من قبيل المساجد والآثار الإسلامية والأضرحة والمعابد المخالفة لمعابدهم التي تشرف عليها جواسيسهم وتعمل تحت رقابتهم وبتعاليمهم وتدمير الدولة السعودية لهذه الأمور أمر مشهور ذكره يكفي لتذكّره حتى جعلوا البيت الذي عاش فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكّة حمامات عامّة لعنهم الله ولعن

جنودهم ومن رضي بهم لعنة الأبد. فكما قال علي تماماً، {ليس فيها منار هدى} هذه غاية الملكية الخالصة عموماً.

وأما قوله {ولا عَلَم يُرى} فالعَلَم هو الإنسان. و يكفي ما ترونه الآن في السعودية وما كان من قبل بصورة أخرى، حيث يُمنَع بالتهديد وبالقهر كل إنسان من الظهور بأمر يخالف ما عليه أمر الدولة وتعليماتها ولا يسمحون بظهور يخالف ما يريدون إظهاره. لاحظ الفرق ما بين {منار هدى} و {عَلَم يُرى}. فالمنار أمر تقيمه الدولة أو يظهر في المجتمع بفعل القوى الحاكمة فيه لذلك بإمكانهم إعدام جميع منارات الهدى كما قال {ليس فيها منار هدى}، لكن العَلَم هو الإنسان العالِم وهذا لا يستطيعون إعدامه لأن إعطاء العلم وإفاضته من لدن الله تعالى ورسوله وأوليائه بالغيب وكذلك لأن طرق التعليم والتواصل لا يمكن لأي دولة مهما بلغت في طغيانها التحكم فيها تحكماً مطلقاً فليس ذلك إلا لله تعالى وفي عصرنا هذا تحديداً الأمر أيسر من جهات كثيرة بل وفي الماضي أيضاً كان أشدّ يسراً من جهات أخرى من قبيل أن الرقابة كانت بالحواس البشرية فقط خلافاً لما عليه الحال اليوم من مراقبة الأجهزة الالتكرونية ووسائل التواصل المختلفة، فلا في الماضي ولا في الحاضر يمكن إعدام الأعلام، ولذلك قال علي {ولا عَلَم يُرى} يعني قد يكون ثمّة عَلَم لكنه لا يُرى لأنه متخفي ومستتر كحال أصحاب الكهف مثلاً فإنهم كانوا أعلام علم ونور إلا أن الناس لم تراهم بسبب استتارهم وتخفيهم، ومن هذا القبيل قول الله تعالى "وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون" فالنظر يقع على الأجسام وما يصدر منها من أفعال وأقوال في العلن، فإن لم يقل ويفعل الإنسان شيئاً يخالف ما عليه ظاهر المجتمع وما تريده الدولة فإنه بالنسبة للدولة يكون ممن يصفونه حسب وصف علي {غير ضائر بهم} وإن لم يكن {نافعاً لهم}، وهذا كان حالي حين كنت هناك إلى حد كبير جداً بالرغم من كلامي وجهري بأمور كثيرة علناً في ضمن "الخطوط الحمراء" كما يقولون وإن كنت أحياناً أكسر شيئاً من تلك الخطوط لكن في سياق خاص وضمن نطاق مضبوط والله لطف بي على كل حال، إلا أن أمري مثل أمر العلماء في تلك البلاد وغيرها كان مبنياً على نشر العلم بالسر ومع الثقات وتدريجياً، فالعلماء يسيرون بين الناس وأهل دعوة الحق يمشون في الأسواق فهم أعلام لكنهم لا يُرون من حيث هم أعلام بل يعتبرهم العامّة كأنهم مجرّد أجسام أو أهل سلام للدولة والواقع أني من أهل الحرب المطلقة للملكية السعودية وكلابها الوهابية أصلاً وفرعاً كنّا كذلك ولا زلنا كذلك بحمد الله وبعونه إلى يوم نلقاه، وحربنا معهم تعني سعينا بكل طريق مشروع لإنهاء وجودهم القهري ورفع جبريتهم عن الأمّة بدءاً من الحجاز وانتهاءً بكل لون من ألوان الملكية العائلية والعسكرية من المشرق إلى المغرب. فكلام علي دقيق هنا حين يقول {ولا علَم يُرى}، فإن أردت الأعلام فلا تعتمد على ما تراه ظاهراً في تلك البلاد، واسأل الله

أن يهديك لمجالس الأعلام السرية وكن ثقةً وأهلاً لحفظ السر إلى أن يأتي الأمر بالظهور بإذن الله.

١١-{نحن أهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة}

لأن الملكية ستتوسّل بالدين، وهذا سبب الفتنة، وإلا لو كانت مجرّد عصابة مسلحة بحتة بدون دعوة دينية لقصر عمرها وسهل أمر ردّها كما هو الحال مع أي عصابة قطّاع طريق مثلاً يعتمدون السلاح البحت في تأسيس نهبهم وسيطرتهم على الناس. كلا، فتنة بني أمية في الماضي وفتنة الملكية المتأسلمة من ذلك اليوم إلى يومنا هذا، بشكلها العائلي والعسكري، هي فتنة عظيمة بل الفتنة العظمى تحديداً لأنها تتوسّل الدين. والدين قوّة عظيمة بل القوة العظمى في التأثير في النفوس الإنسانية، بسرّ كون النفس الإنسانية نور من نور نفس الله تعالى "إنا لله وإنا إليه راجعون" "إني جاعل في الأرض خليفة"، وبسبب ذلك تميل النفس المفطورة بـ"فطرت الله" والمصبوغة بـ"صبغة الله"، لعبادة الله وقبول أمره وإجلاله. ومن هذا الباب يدخل الشياطين على النفس، كما دخل إبليس على ءادم من باب الشريعة فقال له "ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين" و "قاسمهما إني لكما لمن الناصحين"، فذكّره إبليس بنهي ربّه عن الشجرة لكنه حرّف له المقصد من النهي وعاقبته، وكذلك دخل له من باب القسم ويشير إلى الإيمان بالله وشدّة التمسّك به وإجلال الله، ومن باب النصيحة و "الدين النصيحة". وكذلك الحال في فتنة بني أمية والملوك من بعدهم الذين كلهم ورثة بني أمية حتى الذين قاتلوا بني أمية كبني العباس فإنهم على نفس الفتنة ولم يتغيّر الجوهر بل تغيّر العَرَض بل جاءوا بأشدّ وأسوأ مما كان عليه بني أمية من وجوه كثيرة. هؤلاء كانوا ولا زالوا، حتى الملكية العسكرية كما في سوريا ومصر مثلاً، يستعملون الدين ويُظهرون شيوخ متأسلمين ليقولوا للناس بأن الخضوع لهذه الفتنة العظمى هو عين الدين ولبّ التقوى. وهنا تأتي أهمّية قول علي {نحن أهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة}.

فما معنى {بمنجاة}؟ معناه {لسنا فيها بدعاة}. بالتالي الدعاة للملكية القائمة وللفئات التي تريد تأسيس ملكية جديدة وتتحارب فيما بينها من أجل قهر الناس والإبقاء على جوهر الحكم بالعنف والاجبار بدلاً من الحكم باللطف والاختيار، كل هؤلاء الدعاة من الهالكين، أي دعاة الملكية القائمة من الهالكين، ودعاة الملكيات الجديدة من الهالكين. فمن الذي سينجو؟ {نحن أهل البيت}. وكما وقع التحريف في القرءان، وقع ولا زال يقع في كلام علي.

فبعضهم يأخذ قوله {نحن أهل البيت} ليزعم بأن أهل البيت أيضاً يريدون تأسيس ملكية جبرية، أي أهل البيت مجرّد عائلة ملكية أخرى تقوم أيضاً على القهر لكن بعد تحيّن الفرص

والاحتيال أو الصبر والتخفي لوقت غير معلوم، فبغض النظر عن التفاصيل الفرعية هؤلاء يقولون بأن أهل البيت الذين هم {منها بمنجاة} هم في الواقع مثلهم مثل بني أمية لكن بلون آخر. وهذا ما عليه أكثر الشيعة.

وبعضهم يأخذ قوله {نحن أهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة} ليزعم بأن موقف أهل البيت هو الرضا بالملكية والسكوت والخنوع لها، ويدعون الناس-تأمل كلمة "يدعون الناس"- يدعون الناس عموماً وتلاميذهم خصوصاً إلى الرضا بالوضع القائم والسكوت على الملكية العائلية أو العسكرية، ويعتبرون هذا موقف أهل البيت. وهذا موقف الكثير جداً إن لم يكن معظم أهل السنة، ولعل الكثير من ذرية علي أنفسهم بل ومن الصوفية من يقول بمثل هذا التحريف الشنيع. وغاب عن هؤلاء أن قول علي {لسنا فيها بدعاة} يشمل الداعية إلى السكوت عنهم والرضا بهم، فكما قال علي قبلها أن الملوك يريدون الناس إما {نافعاً لهم أو غير ضائر بهم} وأما هذا الشيخ السني بل والصوفي بل -ويا للخزي -العلوي الفاطمي، لا يكتفي بأن يكون غير ضائر بهم كبقية الصامتين التابعين للأوامر الدافعين للضرائب الساكتين عن ما لا ترضاه العصابة المتسلطة ولو كان من أمر الدين الذي يعلمونه، بل يزيد على ذلك بأن يعقد المحاضرات ويلقي الدروس ويجادل ويعظ الناس بالخضوع للدولة ويبرر ذلك بأنواع من التبريرات الجاهلية والمخزية والغبية بل والكفرية حيث يجعلون الملكية من أمر الله وقضائه وقدره فلم يكتفوا بنسيان "إن الله لا يأمر بالفحشاء" حتى جعلوا الله يأمر بالفرعنة اللعناء والفتنة الشوهاء.

أوّل شرط لكون المؤمن من {أهل البيت} هو أن لا يكون من دعاة الملكية مطلقاً، لا الدعاة إلى تأسيسها ولا الدعاة إلى الرضا بها ولا الدعاة إلى السكوت عنها ولا الدعاة ضد خصومها. كما قال علي وبالإطلاق {لسنا فيها بدعاة} ولم يقيّد دعاة إلى ماذا بالضبط فيشمل الدعاة إلى أمر الفتنة الملكية الأموية كلها تأسيساً ورضاً وسكوتاً ودفاعاً فإن هذه أقسام الدعوة العقلية الواقعية. وكما لعن النبي آكل الربا وآخذه وكاتبه وكل من له علاقة به عموماً بجميع أقسام عملية الربا، وكما لعن في الرشوة أيضاً جميع الأصناف الداخلة في عملية الرشوة، كذلك في الملكية لها أقسام ولكل قسم صنف يقوم به والدعوة تكون لجميع الأقسام والأصناف.

{نحن أهل البيت منها بمنجاة} تشير أيضاً إلى أن الله سينجي أهل البيت من شرّ الملكية في الآخرة، وقد ينجيهم أيضاً في الدنيا إما بجعلهم يؤسسون حكماً قائماً على الاختيار كما فعل علي، وإما بأن يجعلهم يهاجرون إلى مدينة حرية كما فعل النبي. فمع علي نرى تأسيس الحرية، ومع النبي نرى الهجرة إلى الحرية، والأمر لا يخلو من تأسيس أو هجرة عقلاً وواقعاً.

فمثال النبي ومثال علي هو مثال {أهل البيت}، فمن عمل على هذا المثال فهو من أهل البيت. ومن كسره وعمل بغيره فليس من أهل البيت.

١٢-{ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الأديم، بمن يسومهم خَسفاً ويسوقهم عُنفاً، ويسقيهم بكأس مُصَبَّرة، لا يُعطيهم إلا السيف، ولا يُحلسهم إلا الخوف}

أعظم بشرى للأمّة في هذه الكلمة العلوية. لكنها ليست بشرى سلبية بل فيها هداية عملية.

فهي بشرى لقوله {ثم يفرجها الله عنكم} وقوله {ثم} يدل على فترة زمنية طويلة نسبياً. وهذا ما نحن فيه إلى اليوم من يوم ظهور بني أمية على الأمّة إلى يومنا هذا، فإن الأمر لم ينتهي بعد والفرج التام لم يتم للأمّة بعد. وأما مجئ بني العباس بعد بني أمية فلم يغيّر الجوهر الملكي بل جاء بأسوأ مما كان عليه من قبلهم، وعلى هذا النمط تعاقبت الملكيات إلى يومنا هذا ولا زالت بشكل أو بآخر عائلية وعسكرية في أمّتنا وسطاً وشرقاً وغرباً.

وقوله {كتفريج الأديم} الأديم هو الجلد والأدمة من السواد والطين كما تقول أديم الأرض، والمعنى أن الأمّة مثل الجسم والملكية مثل الجلد، وهذا تمثيل دقيق جداً لأن الملكية لا يمكن أن تبلغ قلب الأمّة القرآنية المحمدية الموحدة لله، فلا يمكن إلا أن تكون جلداً سطحياً مفروضاً من الخارج عليها، وهو نظام سطحي مظلم دنيوي سافل منحط. هذا أمر. الأمر الآخر في التمثيل هنا هو صعوبة العملية، فإن سلخ الجلد عن الحلم عملية صعبة ومؤلمة، كذلك سيكون التفريج صعباً لأن الملوك عوائل وعسكراً سيحاربون بكل ما لديهم من قوة للحفاظ على أنظمتهم القهرية وسرقاتهم المالية واستعبادهم النفوس الإنسانية وكأنها بهائم أعجمية. فالذي يحسب أن الفرج سيأتي بسهولة وبدون شدّة فهو واهم. ولذلك سيبيّن علي أكثر هذا المعنى في بيانه لوسيلة التفريج الإلهي.

{بمن} أي {يفرجها الله} لكن بمَن سيفرج الله ذلك؟

هل بقيام القيامة؟ كلا.

هل بجنود تسقط من السماء؟ كلا.

هل بـ"إصلاح البطانة الفاسدة" للملك كما يزعم الجهال والأغبياء؟ كلا.

هل بصلاح حال الملك الطاغية لعنه الله وأن يرى مناماً أو يستنير حباً في النور والعدل أو كما يقول بعض المحرفين من دعاة الفتنة "لو كانت لي دعوة صالحة لجعلتها للسلطان فإن في صلاحه صلاح الرعية" وما أشبه من عبارات كاذبة وغبية ورافضة لأمر الله ورسوله بكيفية إحداث التغيرات في السلطان وأنها ليست بالدعاء بل بالأطر على الحق أطراً وغير ذلك مما تعرفونه؟ (بالمناسبة، في زمن الطغيان القديم كان الحكماء من الأمّة يخفون حقائق ما يريدون

قوله في ثوب عبارات جنونية أو تقوية أحياناً، مثل هذه العبارة فإن فيها تنبيها على أهمّية السلطان وأنه المحور في الصلاح بالتالي فيها تنبيه على أنه المحور في الفساد أيضاً، فقد تصدر من شخص بنية صالحة وقصد صحيح لكن بحكم الطغيان الحاكم يخفي مقصده في عبارة تحتمل وجوهاً منها ما يناسب الملك فيُسكَت عنه ومنها ما يأخذ منه العقلاء الأحرار بغيتهم ويتنبهون به) أيضاً كلا.

هل بالصبر على الملك والأوضاع حتى تتغيّر بطريقة سحرية؟ كلا.

هل بشيء أو بإنسان؟ الجواب: بإنسان. بدليل قول علي {يفرجها الله...بمَن}. {مَن} للعاقل، للإنسان. فهذا أو البيان. الفرج من الله سيكون بإنسان، يعني بفعل الناس. كما قال الله "ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفون من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيرا"، فهنا الفرج الذي طلبه هؤلاء المستضعفين جاء من الله عبر بعث الله للنبي ومن معه، بأناس، بمقاتلين للتحرير ورفع الظلم عن المستضعفين. هذا أول وأكبر وأهمّ ردّ على دعاة الفتنة الذين يسوّفون ويؤملون الناس بالأوهام والأكاذيب المستقبلية والسلبية المتعاجزة أو بإحالتهم على رجمهم بالغيب وأحاديثهم المظلمة عن القضاء والقدر ونحو ذلك. الفرج من الله سيكون بوسيلة عمل الناس. حسناً.

السؤال الثاني: كيف يكون عمل هؤلاء الناس الذين سينهون فتنة بني أمية، فتنة الملكية؟

هل سيكون بعقد مؤتمرات لإقناع الملوك والعسكر الجبابرة بالتنازل عن مصالحهم والرحمة بالمستضعفين المقهورين تحت أقدامهم؟ كلا.

هل سيكون بالتفاوض معهم عبر الأخذ والرد في القضايا الاقتصادية وتبادل المصالح حتى يجبروا الملوك على إعطاء شيء من "حقوق الإنسان" لرعيتهم الذين هم "رعية" فعلاً أي بهائم تُساق وبقر تُحلَب وتُذبَح؟ كلا.

هل سيكون بمحاولة تعيين ملك أو أمير أو شيخ أو جنرال جديد حتى يغيّر الأوضاع ويحسّن وضع الناس ويؤسس للحرية؟ كلا.

ما هو جواب علي، الذي هو جواب كل حر ذكي؟ الجواب كالتالي {بمن يسومهم خسفاً ويسوقهم عُنفاً، ويسقيهم بكأس مُصبّرة، لا يعطيهم إلا السيف، ولا يُحلسهم إلا الخوف}. هذه اللغة الوحيدة التي يمكن التفاهم بها مع الملوك، ملوك العوائل وملوك العساكر، "هل أتاك حديث الجنود. فرعون وثمود". أي محاولة لتغيير الملكية إلى ديمقراطية بغير طريقة علي هذه فلن تفلح. علي نفسه لم يفلح ! ليس تورعاً ولا تواضعاً كاذباً الذي جعله يقول للناس في زمنه " دعوني والتمسوا غيري"، وفعلاً أقام له حزب معاوية حرباً وحزب عائشة حرباً وحزب الجهلة

في النهروان حرباً ثم اغتالوه ثم حصل ما تعرفوه، ولذلك عرف علي في زمنه أن ما سيقوم به لن ينجح مع الناس في زمنه حتى ممن بايعه ولذلك قال {وايم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي} فقد عرف أن بني أمية سيظهرون على الناس ويملكون لأن الناس كانوا بشكل عام ثلاثة فرق مثّلتها فرقة معاوية وفرقة عائشة وفرقة النهروان وهؤلاء هم أكثر الأمّة، فإن الفساد دبّ في الأمّة من قبل من أيام أبي بكر إلى أيام عثمان وانتهى الأمر، و"لا يُصلح العطّار ما أفسد الدهر"، فعلي كان في زمن غلب عليه الفساد وكلهم يريد الحكم بالقهر والطغيان ولا يعرف غير ذلك. فكيف عرف علي أن فرقة معاوية هي التي ستغلب؟ لأنها أحسنها نظاماً وأكثرها دهاءً وخبثاً، وأما فرقة عائشة فتسرع ناكثين مضطربين، وأما فرقة النهروان فهوس جهلة سطحيين، كلاهما ليس له نظام مرتّب وقصد محكم وعدم تورّع عن كل ما يخالف الدين والحق والعدل بينما فرقة عائشة كان لا يزال فيها شيء من ذلك كما رفض الزبير مثلاً اغتيال علي وكما رفض أهل النهروان الخروج عن نصّ القرءان حسب فهمهم، فلا زال في الفرقتين شيء من الدين وإرادة الحق ومراعاة الروح، لكن فرقة معاوية ملاحدة لو رأوا الملائكة لأرادوا اغتصابهم لمراعاة شهوتهم كما فعل قوم لوط.

هل يمكن أن يأتي رجال الفرج من داخل الأمّة الآن؟ لا أرى ذلك. لأن الأغلبية لا تزال كما كانت زمن علي، بمعنى لا يزالون في الفتنة، بل ترسّخت فيهم الفتنة حتى جعلوها عين العقيدة. فالمتدين فيهم عقيدته الفتنة، والملحد فيهم يريد الدنيا بالخضوع لأرباب الفتنة، والشاذ شاذ والشاذ لا حكم له.

من أين سيأتي الفرج؟ أمن إيران الذين يقتلون الناس على حجاب المرأة؟ أم من السعودية الذين يعذّبون الناس في السجون من أجل تغريدة؟ أم من مصر التي شمّت رائحة الاختيار لسنة فأزكمت أنفوها من شدّة اعتيادهم على القهر؟ أم من قطر الذين انتصارهم للإسلام بإقامة كأس العالَم لكرة القدم بالرشاوى مع وضع بعض الدعاة إلى الإسلام ونصوص في المطارات كمنظر؟ أم من تركيا الذين وثق بهم صحفي مسلم غريب فجاء إلى بلادهم فاغتيل عندهم فساوموا على دمه ثم نسوه وَحزبهم "الإسلامي" يمجّد في الماضي العثماني الملكي العائلي القهري وفيه ما فيه؟ أم يا ترى من أفغانستان الذين رجولتهم وإسلامهم يبرزان على المستضعفين عندهم واغتصاب الصبيان عندهم عادةً وبيع الأفيون تجارة رابحة وتعاطيه نعمة عندهم سابغة والقهر عندهم أهون من شرب الماء؟ أم لعله يظهر من باكستان التي لعلها أول دول العالَم في الفساد وخضوعهم لملوك السعودية معروف؟ لعلك تقول سيأتي من المغرب، الملكية العائلية التي لا يجرؤ الشباب فيها على إظهار شكواهم من القهر إلى الله إلا بالصراخ في ملاعب كرة القدم تفادياً لبطش الدولة؟ ولا تقل لي الأردن، الملكية العائلية أيضاً والتي يتم

إرسال المسلمين إليها لتعذيبهم حيث تتورع أيدي الصهاينة عن تعذيبهم في أرضهم " الموعودة"؟ اذهب وانظر حيث شئت وأخبرني مَن في البلاد ذات الأغلبية المسلمة بحسب التدين والاسم، مَن لديه دولة قائمة على مبدأ الاختيار، ومَن لديه قوّة عسكرية تؤمن بالحرية إلى درجة إمكان قيامها بقول علي {بمن يسومهم خسفاً ويسوقهم عنفاً ويسقيهم بكأس مصبرة لا يعطيهم إلا السيف ولا يحلسهم إلا الخوف}؟

كان الأنصار في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوم أهل جاهلية وشرك، يستعلمون قوتهم المسلحة في الظلم والتظالم، وفيهم عنصرية عصبية بغيضة منتنة، وينقسمون إلى أحزاب متصارعة. لكن من هذه القوّة غير المنضبطة والموجهة للحق والحرية، جاء النبي وجعلها كذلك فحوّل قوّتهم من نار إلى نور.

إذا كان في زمننا هذا مَن هو مؤهل للقيام بدور التفريج عن الأمم المستعبدة تحت الملكية العائلية والعسكرية، ممن يشبه أهل يثرب في ذلك الزمان من حيث أن لديهم الاستعداد والقوة لكنهم يستعملون قوتهم في غير محلها أو لم يستعملوها كما ينبغي بعد، إذا كان في زماننا هذا من لديه ذلك فلا أراه إلا أمريكا. فإن أراد الله بهم خيراً سيجعلهم يستعملون قوتهم للتفريج عن الناس في كل مكان، ويجعلهم مركز الأرض في التحرير والتنوير. فإن القوّة موجودة، والنعمة سابغة، وقواعدهم العسكرية في شتى بقاع الأرض، فالسيف في غمده وينتظر نوراً إلهياً يوجهه ويداً واثقة تسلّه وتبيد به الناس في آخر الزمان كما أبادت الأنصار أرباب الجاهلية في أول الزمان. وأمريكا أعرق الدول في مبدأ الاختيار، وأعمقها حريةً، وأكثرها انتظاماً، بالنسبة لبقية الدول في الماضي والحاضر وليس بالنسبة إلى الكمال المطلق. وإذا صدق ما نزل في قلبي إن شاء الله، فستكون أمريكا هي وسيلة تفريج الله غمّة الملكية عن الأمّة بالكلّية. وقد كان من أهل يثرب مَن يحالف طغاة قريش في الجاهلية، لكن لما جاء النور الجديد صاروا ألدّ أعدائهم، فلا تقل "لكن أمريكا تحالف كذا وكذا من دول الملكيات العائلية والعسكرية"، فهذا لا يكفي، فنحن نتحدّث عن أمر جديد سينزله الله في قلوبهم ويتغير به الحال. وأيضاً هذا لا يعني أن كل مَن في أمريكا سيتغيّر، فكل مَن في يثرب لم يتغيّر بمقدم دعوة النبي الجديدة فالمنافقين ما أكثرهم إلى آخر عهد النبي. كذلك لا عبرة بقول البعض "لكن في أمريكا يهود يؤثرون على سياستها ولن يقوموا بذلك" فهذا أولاً غير دقيق وثانياً يوجد مثله في المدينة أيام النبي حيث كان لليهود تأثير على حزبي الأوس والخزرج أيضاً ويعملون على توجيه الحزبين بحسب مصالحهم لكن تغيّر الحال كما تعلمون. وهكذا كل ما يقال من الاعتراضات على أمريكا اليوم وإمكان صيرورتها واقعياً ولجميع الأمم سبباً للتحرير والتنوير السياسي، قد كان مثله بل أشدّ منه في الماضي عند أهل يثرب وتغيّر الحال

كما يعرف الجميع. قال علي {ثم يفرجها الله عنكم} ولم يقل سيفرجها بكم، أي التفريج لن يكون بالمقهورين أنفسهم بل بغيرهم مما سيهتم بأمرهم ويعمل لتحريرهم من فتنة بني أمية الملكية. فكذلك الحال الآن، واقعاً أصول التحرير ورفع الفتنة راسخة في أمريكا وهم وحدهم من بين بقية بلدان الديمقراطية مَن جعل الله فيهم الاستعداد والقوة للقيام بعمل كبير مثل هذا. وإلا فبلدان أوروبا مثلاً هي إما لا تزال ملكية وإن كانت مخففة كبريطانيا والسويد ونحوها، وإما ليس فيها تعددية جذرية وواسعة واحترام للحرية بالقدر الكافي فضلاً عن عدم وجود القدرة العسكرية للقيام بعملية {يسومهم خسفاً ويسوقهم عنفاً} كفرنسا وألمانيا مثلاً، وإما دول لديها مشاكل الذاتية وليست لديهم لا الروح ولا القدرة على التأثير على العالَم بالنحو المطلوب وإن كانت تقوم في الجملة على مبدأ الاختيار وفيها قبول للآخر وحرية دين وكلام نسبية مثل كثير من بلدان أمريكا اللاتينية. ففي الأرض اليوم وعبر التاريخ لم توجد فرصة مثل فرصة أمريكا للقيام بالتغيير الجذري والشامل للأرض كلها من الناحية السياسية تحديداً.

١٣-{فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها لو يرونني مقاماً واحداً ولو قدر جزر جزور لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يُعطونني}

قريش تمثّل الملكية، وعلي يمثّل دعاة الحرية، ومن يوم علي إلى يومنا هذا ودعاة الحرية يتكلّمون سلماً ويعظون لفظاً ويجادلون عقلاً لتأسيس الحرية. لكن لن ينفعهم ذلك كما لم ينفع فرعون كلام موسى معه. وكل ما قاله علي هنا يمثّل تأويلاً لإغراق فرعون وبقية العذابات التي أخذته وجنوده وآله وأصحابه وقومه. فكما أنه حين غرق فرعون تمنّى النجاة بالإيمان وقطعاً كان يتمنى لو ترك بني إسرائيل يتحررون ويبقى له ملكه وجنوده، وقد كلمه موسى مراراً وتكراراً "ولقد أريناه آياتنا كلها فكذّب وأبى"، فسأل موسى بالكلام بعضاً مما هو تحت قهر فرعون فلم يعطيه إياه، لكن حين جاء العذاب تمنّى الأماني. كذلك الحال هنا، حين يأتي التفريج عن الأمّة ويتم سلخ الجلد المنحط للملكية عن جسدها، سيتمنون لو كانوا سمعوا لدعاة بعض الحريات والحقوق، فاليوم الدعاة يقولون "شيء من حرية التعبير لوجه الله! " فيُلقون في السجون، ويقولون "شيء من الانتخابات للكرامة " فيُقتَلون، ويقولون غير ذلك مع سكوتهم عن بقية الأمور فلا يعطونهم. لذلك حين يأتي يوم {لا يعطيهم إلا السيف} سيتمنون لو كانوا أعطوا كل ذلك وذلك يوم لا ينفع الندم ولا يُرى إلا "فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها. ولا يخاف عقباها". "ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون".

...

قالت: اخي ما هو المعنى الباطني لمحمد وعلي بن أبي طالب عليهما الصلاة والسلام؟
قلت: معاني وليس معنى. لكن من أهم المعاني هو قول النبي "أنا مدينة العلم وعلي بابها". ف"العلم نور". بالتالي النبي هو النور، وعلي باب النور. النبي يمثل القرءان، وعلي يمثل الولاية والعقل الروحي الذي به يدخل القارىء لباطن حقيقة القرءان. "فضُرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة".

قالت: كيف نوالي هذا العقل الروحي كيف نتفاعل معاه وندخل بالمدخل الصحيح؟ شكرًا أخي.
قلت: بالصلاة على النبي وآله، وبقراءة آيات النور ٣٥-٤٠ كثيراً، وبالإيمان بولاية علي عبر قول النبي "أنا مدينة العلم وعلي بابها"، وبقراءة كتبي، وأهم شيء بسؤال الفتح من الفتاح العليم سبحانه وتعالى فلا شيء ينفع ولا يشفع إلا بإذنه وفضله ورحمته.

...

قالت: اخي من هو او ما هو كريشنا.
قلت: ابحثي في غوغل عن كرشنا.
قالت: انا اعرف بعض الاشياء وبحثت ولكني احببت اخذ برايك.
قلت: حصلت على كتاب عنه ولازلت أقرأه فلا أعرف شيئاً خاصاً حتى أخبرك به.
ثم قلت: أهم شيء اقرأ عنه كمَثَل ونموذج، وليس مجرد شخصية تاريخية.

...

سألتني بكلام طويل عن زوجها فقلت لها:
طالما إنك حامل وطالما مافي خيانة فعلية بالخروج معاهم والجنس فاصبري أكثر وأعطيه فرص كثيرة وادعي له وذكريه وخوفيه بالله وقوليله ان الحفاظ على العيلة أولى بالرجل من لعب العيال دا بالاتصالات. ثم أنت نفسك راجعي نفسك وشوفي في ايش مقصرة معاه؟ ليش ما بينشغل بالكلام معاكي بدلاً من معاهم، وحسني علاقتك معاه من هذه الجوانب. لا تخليه يعتبرك مصدر الشكاوى والقلق، ويعتبر البنات مصدر الراحة والكلام الحلو. كوني أنتي مصدر الراحة والكلام الحلو. وانسي الماضي وابدأي صفحة جديدة وادعي الله يجمع بين قلوبكم ويملأ حياتكم بالسرور والفكر والروحانية.

...

سألني عن شرب القهوة فقلت: الأفضل عدم شرب أي منبهات بشكل منتظم معتاد، حتى يكون تنبهك من داخلك لا من خارجك.

وقال: حبيبنا سلطان ،، بالنسبة للطهارة و الصلاة في وقتها ،، أواجه تحدي كبير خصوصًا اني الفترة الحالية اشتغل بسيارتي اوبر او عموما حتى قبل كدا اني استمر في الحفاظ على طهارة ملابسي و نفسي بعد الحمام الله يكرمك و الحفاظ على الصلاوات في وقتها بالزبط ياريت تكلمني شويه هل فعلا الصلوات وقتها بالزبط زي ما عرفنا و لا انا سمعت انها ممكن تتقسم و تجمع ؟ و كلمنا كمان عن الطهارة يعني مثلا عندكم في امريكا مافي شطافات فهل المناديل كفاية عندكم و عندنا كمان و انت عارف وضع الحمامات الله يكرمك في المساجد اغلبها مو نظيفة.

فقلت: هذه أسئلة ماعندي فيها أكثر مما تعلمناه في كتاب الطهارة من الفقه، فراجعه هناك. ممكن الجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء حتى في الحضر وبدون عذر. والطهارة بالجامد كافية لكن بالماء أفضل والأفضل هو عندي ما يجب اتباعه بكل وسيلة.

وسألني عن الرياضة فقلت: صحة وجمال للبدن وتعليم للانضباط وباطنها حث الناس على رياضة النفس بالصلاة والصيام.

...

قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كنت عايز أقول أني مش عارف أتحرر من جسدي، أخلدت للأرض زي الكلب، بقالي كتير وحاولت كتير أبطل الإستمناء، ومعرفتش...كل ما بتوب وأقرر خلاص أعمل تاني، وبدعي في كل صلاة أن الله يتوب عليا، وملتزم بالأعمال الثمانية وبورد القرءان وبالنوافل ومتفوق في دراستي، ولكن الذنب ده مبوظله نفسيتي وتاعبني ومش عارف أبطل خالص وبقعد أجلد في نفسي بعد كل مرة بستمني فيها، وان اللى بعمله ده غلط ومينفعش، وباستحقرها انها بتثار بصورة أو فيديو...واقعد اسأل نفسي طالما مش انت اللى بتنيك بتشوف ليه ايه الفائدة اللى هتاخدها، يعني حتي وانت بتعصي ربنا عبيط... أنا عايز اتحرر من جسدي، اتحرر ازاى؟ مش الثمانية علشان مبقاش كداب، المجالس مش ملتزم بيها لأن مفيش حد أعمل معاه مجلس ذكر، مش لاقي حد، فهما سبعة بس اللى ملتزم بيهم. وبجد موضوع أني كل شوية بستمني مضايقني جدا واني مش عارف أبطل مضايقني أكتر، حتى بعد ما سألتك ليه كفر وجاوبتني قعدت سبع ايام او اقل مبطل وخلاص الحمد لله وبعدين رجعت تاني وبطلت اقرأها، بس عارف محتواها ورغم اني عارف محتواها وعارف انها كفر من الجهات دي ورغم اني عارف انها حرام بشكل عام إلا أني عبد لشهوتي بشكل مبالغ فيه. ازاي أبطلها؟

قلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. اقرأ ١٧-١٨ من سورة النساء.

ثم: سبب تأثرك بما تراه في الشاشة ليس لأنك "عبيط". هذا حال الناس كلهم. لهذا نشاهد أفلام السينما مثلاً ونضحك في الموقف المضحك ونبكي في الموقف المبكي ونخاف في المشهد المخيف وكأنه حقيقة وهذا مع علمنا الجازم أنه كله تمثيل. السبب هنا هو نفس سبب قول الله "لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم"، العين بوابة النفس وحين تمتد إلى شيء فإنها تأخذ صورته وتجعلها في عالَم النفس الموازي لعالَم الطبيعة، فأنت في داخلك عالَم مستقل نسبياً وحقيقي، ولذلك مثلاً تتخيل الشيء فتتأثر به وترى الشيء في المنام فتتأثر به. هذا أمر. وأمر آخر أنه لدينا نفسياً خاصية التماهي مع ما نراه إن أردنا، يعني نضع أنفسنا موضع ما نراه، ومن هنا تجد الناس مثلاً من المعجبين بالمشاهير فإنهم يتماهون معهم ويشعرون وكأنهم هم ولو قليلاً بمد العين لهم. فبسبب هذين الأمرين، حين تشاهد شخصاً على الشاشة يجامع امرأة فإنك نفسياً تصبح كأنك أنت الذي تجامعها، كأنه حِلم لكنك مستيقظ، والاستمناء كأنه احتلام لكنه إرادي خلافاً لاحتلام المنام غير الإرادي بمعنى الفعل المباشر منك. إذن أنت مو عبيط حبيبنا.

جانب ثاني: إن أردت الفتوى، فالاستمناء لا يوجد نص صريح لا في القرءان ولا في السنة الصحيحة يحرمه ويجرمه. واقرأ إن شئت كتاب الاستمناء للشيخ عبدالله بن الصديق الغماري وهو موجود على النت خذه من هناك مجاناً، وسترى أن الشيخ يفتي بحرمة الاستمناء ويأتي بأدلة ذلك، لكن تأمل الأدلة ولن تجد فيها دليلاً صريحاً مباشراً واحداً. ثم هو نفسه نقل عن بعض الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين جواز الاستمناء بل كانوا يعلمونه صبيانهم حتى يجعلوهم أهل عفة عن الزنا. فإن أردت، فهذا المذهب متاح.

لكن إن أردت الأعلى، فلا أقول لك إلا ما أقوله لنفسي ومَن أُحب: أولاً، انظر للاستمناء على أنه ممنوع أصلاً ولا ينبغي القيام به. ويكفي دليلاً على ذلك أنك حتى حين تقوم به تكرهه. ودليل آخر هو أن الله خلقنا من تراب ثم من نطفة ثم جعلنا أزواجاً ثم تحمل الأنثى من زوجها ثم تضع الولد ثم يُعمّر أو ينقص من عمره ثم يموت ويرجع تراباً، فهذه دورة الحق، بالتالي الزواج هو أحسن وأكمل طريق، لكن احذر أن يكون زواجك فقط من أجل الجماع فهذا سيكون موتاً لنفسك. الفكرة أن الاستمناء يجعلك تقف عند مرحلة النطفة ولا تنتقل إلى الزوجية، وسيؤثر عليك هنا. ثانياً، استغفر وتب كلما غلبت شهوتك، ولو ألف مرة، واعترف بالعجز لربك وعاهده على الاستقامة بعونه. ولو عدت فعد بالاستغفار والتوبة، لا تيأس ولا تكف عن ذلك ولو ألف مرة. فإن من أسماء الله الخاصة بالمؤمنين اسم الغفور والغافر والغفار والتواب والرحيم،

وبدون الذنوب من المؤمنين لن تتفعل هذه الأسماء الإلهية. ولتكن هذه الانكسارات منك سبباً لتذكيرك بالتواضع للمؤمنين والرحمة بالناس والمذنبين خصوصاً.

ثالثاً، حاول أن تُبعد الاستمناء ما استطعت، يعني قل لنفسك بعد أسبوع سأفعل، وحاول حين يأتي الوقت أن تشغل نفسك بشيء وأجّلها بضعة أيام، ثم إن فعلت فحاول في المرة القادمة أن تؤجل الأمر أطول. وهكذا إن استطعت المباعدة بين الأيام فهو خير بإذن الله ومن المجاهدة الكبرى، وسينصرك الله هنا كما في أي أمر آخر صغير أو كبير تجاهد من أجله، وبداية الغلبة في الأمور الكبيرة هي الغلبة في الأمور الصغيرة.

رابعاً، لأن العالَم مبني على التوازن، فإنك حين تستمني تعطي نفسك لذة لكنك لا تعطي اللذة لإنسان آخر، لذلك حتى تتوازن ستجد نفسك تأخذ في نفسك أيضاً ألماً نفسياً وقد يأتيك حتى ألم مادي من خارجك وغيرك. فالتوازن إما بإعطاء وأخذ اللذة وهو النكاح، وإما بأخذ اللذة ثم أخذ الألم. هذا أصل تألمك وحدوث مشكلة معك بعد الاستمناء. حتى تعالج ولو جزئياً هذا الجانب، فجرّب هذا وانظر أثره: قبل أن تستمني، خذ شيئاً كحزام واجلد نفسك في أنحاء جسمك مائة جلدة، ثم افعل ما تريد. جرّب هذا وانظر بعدها ولا تستغرب الصورة.

خامساً، بعد الاستمناء اغتسل وصل ركعتين واستغفر، ثم تصدق ولو بشيء بسيط على مسكين واجعل هذه سنة لك، وإن أردت الزيادة فاعمل على أن تصوم يوماً مقابل كل مرة تستمني فيها. فالخلاصة: اجعل حول كل استمناء أربعة أمور: جلد واستغفار وصدقة وصيام.

سادساً، اعقد النية على الزواج، وإن جاءتك في الفترة القادمة امرأة تريدك فلا تردها وأخبرني حتى أبين لك الأمر إن شاء. الله.

اي نعم ونقطة أخرى: بالنسبة للأفلام الإباحية، من وجه تشبه الأحلام بالنسبة للرائي لأنه لا يفعل شيئاً وكما أن مشاهدة تمثيل قتل وتخريب في أفلام الإثارة لا تعني أن المشاهد قاتل ومخرب، كذلك مشاهدة هذه لا تعني أنه فاعل ما يراه. لكن من وجه آخر وهو الأولى بالوعي والرعاية: مشاهدتها فيه مكاسب لأهلها وهذه التجارة قبيحة وتتسبب في الاتجار بالبشر للجنس بل وحتى الجنس مع الأطفال والصغار والاغتصاب يتم استغلاله في تلك المواقع، فضلاً عن المساعدة على ترويج لأنهم يكسبون من مشاهدتك، فكأنك ساهمت في تجارتهم. وأمر آخر، إن كان ولابد من مشاهدتك لذلك فقلل الذنب قدر الإمكان، يعني لا تشاهد رجلاً يسافح امرأة، شاهد امرأة لوحدها تفعل شيئاً أو ما أشبه، لا تنظر لعورة رجل ما استطعت. إن كان ولابد من السم، فخذ سماً خفيفاً بدلاً من سم ثقيل.

ثم قال كلاماً عن صغر سنّة وطلب الدعاء منّي وسألني عن أعمالي في رمضان بناء على قولي في أحد كتبي بأن عملي في رمضان مثل عملي في الأيام العادية. فقلت: عن الزواج: خليها على الله وإذا صار بإذن الله ما قلته لك فأخبرني وحينها نتكلم. وبالنسبة ليومي العادي: فكله أعمال الطريقة الثمانية بدرجات مختلفة، وأمور المعيشة تتخلل ذلك بحسب الحاجة. ولا أدري ما يُفتَح لي في رمضان هذا من عمل خاص، والله لطيف بعباده. لكن قد يكون في رمضان شيء واحد أو شيئين غير الأيام العادية ليس جوهرياً، وهو أني أختم القرءان مرة، وأبتعد عن مشاهدة البرامج أكثر. وليس هذا في كل رمضان لكن بحسب الحال. وقد أركز أكثر على مجالس تدارس القرءان. إلا أني أحياناً في الشهور الأخرى أعمل مثل هذا أو أكثر.

...

سألت عن معنى إغلاق أبواب النار وغلّ الشياطين في رمضان فقلت: الإنسان فيه جزء ملائكي وهو عقله وروحه، وفيه جزء حيواني وهو جسمه. الشياطين تدخل على الإنسان إما من جهة عقله وإما من جهة جسمه. فدخولها من جهة عقله يكون لأنه لا يشتغل بدراسة القرءان والصلاة والدعاء ولا يسخّر حياته لهذه الأعمال الروحية والتعلّق بالله تعالى، ودخولها من جهة جسمه لأنه مشغول بشهواته الحسية من طعام وجماع. في رمضان يتم سدّ باب الشيطان للعقل بسبب الاشتغال بالعبادات، ويتم سدّ باب الشيطان للجسم بسبب الانقطاع عن الشهوات. هذا هو الأصل.

...

إن وجدت حرية التعبير والدين، فلا بد من إظهار كل شيء والمواجهة به. وإن لم تجد حرية التعبير والدين، فقد يجوز دخول بعض الأشخاص متنكرين إلى المنظمات السياسية والدينية لتغييرها من الداخل، بشرط أن يكون قصد التغيير هو التحرير لا مجرد الاستغلال الدنيوي، من قبيل العملية الجراحية حيث يتم إدخال المباضع بعد تخدير المريض من قبل الطبيب.

...

قالت صاحبتي لما سألتها عن رأيها بانضمامي إلى جماعة سرّية معينة قوية ما حاصله: بثلاثة شروط، الأول أن لا يكلّفك ذلك وقتاً كثيراً لأن وقتك محدود ولابد من أن تقضيه في القرءان ونحو ذلك، الثاني أن لا تُضحي بشيء من مبادئك الأصلية وقيمك الكبرى كتكلفة للدخول فيهم، الثالث أن ينفعوك في أهدافك السياسية الكبرى في تحرير الأمّة.

فنظرت في شروطها وقلت في نفسي وإن كنت لن أنضم لتلك الجماعة: الحمد لله على مثل هذا العقل، وقد أفلحت لمّا سألت هذه المرأة.

...

في المعركة بين جماعتين، واحدة من المؤمنين العبيد والأخرى من الكفار الأحرار، فالأحرار على الأغلب سيغلبون، ولو كان إيمان الفرقة الأولى نافعاً لحررهم بنصرهم على مستعبديهم قبل أن ينفعهم بالتغلب على خصومهم.

هذا مفتاح لفهم سبب تغلب الصهاينة على الفلسطينيين حتى اليوم، لأن عند الصهاينة داخل جماعتهم من الحرية والحقوق أكثر وأكبر مما لدى أهل فلسطين. ثم الإنصاف لا يساعدهم، لأن الفلسطيني لم ينتفض ولا ينتفض ضد احتلال بلاده من قبل "المسلم"، ولو سامه الخسف والذل، فمشكلته إذن ليست في مبدأ القهر لكن في اسم القاهر، ولذلك لا ينفعه ذلك في شيء. حين يتحرر الفلسطيني من عقيدة الجبر واعتقاد جواز القهر مطلقاً ويُحسن داخل منطقة نفوذه في باب الحريات والحقوق كما يحسن الصهيوني ذلك داخل جماعته وإن كان غير ذلك مع مَن هم خارج جماعته، حينها ستجدون الموازين تنقلب بسرعة إن شاء الله.

يلوم الكثير الأمريكان أو الصهاينة أو غيرهم من الأمم الغربية على "نفاقهم" كما يقولون، و"الكيل بمكيالين"، ويقصدون أن هؤلاء يعاملون الأمم الأخرى بمعايير تختلف بل تضاد المعايير التي يقبلونها فيما بينهم وداخل بلادهم. من أمثلة ذلك تسجيل رأيته لمصطفى محمود، ذلك المؤمن السطحي الشبه مادّي، يزعم فيه أن أمريكا منافقة، لماذا؟ يقول لأنهم يساعدون القطط داخل بلادهم لكن يلقون الصواريخ النووية خارج بلادهم. أقول: مثل هذه المقارنة خاطئة على مستويات كثيرة. لكن قبل ذلك، هل معاملة الآخر بمعايير تختلف عن معاملة الداخل نفاق؟ الجواب: طبعاً كلا. ولو كان هذا نفاقاً، لكان القرءان نفاقاً، ولكان كل المسلمين عبر القرون من المنافقين، بل لكان كل الناس قاطبة من المنافقين بلا استثناء فرد. أما في القرءان فقال الله عن المؤمنين يمدحهم "أشدّاء على الكفار رحماء بينهم" و قال "أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين"، فها هو يجعل التعامل مع الكافرين عكس تماماً التعامل مع المؤمنين، فهل هذا من الكيل بميكالين، ثم انظر في جميع المذاهب الإسلامية وستجدهم يقررون ليس فقط "الكيل بمكيالين" مع غير المسلم بل حتى مع المسلم "المبتدع" أو "المخالف" لهم، ويروون في ذلك أحاديث ينسبونها إلى النبي والصالحين ويعملون بها ويجعلونها ديناً وهذا ليس مجرد تقرير نظري بل هو شيء معمول به ومعروف في الأمّة كلها. ثم إن المسلمين أجازوا لأنفسهم استعباد الأمم الأخرى، وسبي نسائهم وذرياتهم، فكم منهم رضي بأن يُستَعبَد وتُسبى امرأته وأمّه وأخته وبنته ويغتصبها الغريب والآخر. وكذلك الحال في القبائل العربية التي تضع معايير للتعامل مع أهل القبيلة تختلف عن أهل القبيلة الأخرى في بعض الأمور كالزواج مثلاً، والقائمة تطول. هذه الشكوى من كيل الغريب بمكيالين هي شكوى الضعيف الذي كان قوياً بالأمس يكيل بمكيالين فلمّا انقلب السحر على الساحر صار يشكو وينوح

ويدعي أنه صاحب نزاهة. أما بالنسبة لمقارنة ذلك السطحي المشهور، الذي شهرته تدل على مدى سوء حال المعرفة الدينية في الأمّة، فإن مساعدة القطط داخل البلدة فعلاً رحمة وإحسان كبير يا ليت تصبح دول العرب "المسلمين" أيضاً "منافقة" هكذا بل لا نقول مساعدة القطط وحمايتها من الأذى بل لنقل مساعدة المسلمين أنفسهم بل علماء وشيوخ المسلمين الأحرار الذين ربعهم الأول في السجون وربعهم الثاني في كهوف التقية وربعهم الثالث في المنفى الاختياري أو الإجباري وربعهم الأخير مضى على سنّة الحسين عليه السلام. لكن الجواب الأدق ليس كذلك. فإن ذلك السطحي المسطّح الإيمان، يزعم أن إلقاء النووي على اليابان كان مجرد عمل فارغ لا قيمة له بالمرّة وكأن القوم مجرّد شياطين يلقون القنابل الذرية، وهذا وإن كان أمراً كبيراً يختلف فيه الأمريكان أنفسهم قبل غيرهم ولا يزال الكثير منهم ينكر ذلك إلى اليوم، لكن الانصاف يقتضي النظر في حقيقة الحال حينها وكيف أن قتل ذلك العدد من اليابانيين الذين بدأوا بالاعتداء على أمريكا أصلاً، ورفضوا الاستسلام غير المشروط، كان مسألة اختيار بين إلقاء القنبلة عليهم أو بين إنزال جنود أمريكان على الجزر اليابانية والتي كانت ستؤدي إلى مقتلة أعظم بكثير لكُلّا من اليابانيين والأمريكان على السواء، فمن هذا الوجه كان لاختيارهم وجه وليس مجرّد "عدم رحمة ونفاق" من مساعدي القطط كما يزعم الأخ. ثم فائدة أخرى لذلك الإلقاء ولا زالت أمام أعين الناس إلى اليوم ولعلها هي السبب الأكبر في منع بداية حرب عالمية نووية ثالثة، هي أن الناس رأوا واقعياً خطورة القنابل الذرية، فنعم كانت اليابان-في ذلك السياق-مسرحاً لهذه المقتلة العظيمة، لكنها صارت درساً وعبرةً لجميع الأمم ولعل ذلك المشهد الفظيع هو أحد أهم أسباب نشوء حرب بين روسيا وأمريكا بسبب أوكرانيا وما قبل ذلك أيضاً وما بعده.

الحاصل: الأمّة التي تتعامل {بينهم} و مع {المؤمنين} مثلهم بالتعامل الحسن من الرحمة والتذلل الطوعي، ستكون أعلى وأولى بالعناية الإلهية من الأمّة التي تتعامل مع ضعاف أهلها وعامّة شعبها بالإذلال القهري والقسوة والخبث ثم تتذلل عن ضعف للأمم الأخرى وتداهن وتتعامل بدبلوماسية لأنها عاجزة وليس لأنها عادلة.

...

إن كان مصدر السلطة السياسية هو الله، فالحرب بين الناس دائمة لأن الله لن يُنزل آية من لدنه تخضع أعناق كل الناس لإرادته وتبيّن أمره بنحو لا يختلف عليه الناس في الظهور.

وإن كان مصدر السلطة السياسية هو النبي، فالنبي ليس على الأرض، فسيبقى الخلاف بين الأمّة بسبب ادعائهم أن النبي اختارهم هم، وسيكون ما كان وهو كائن.

وإن كان مصدر السلطة السياسية هو التغلّب بالقهر، فالقاهر اليوم مقهور غداً والعنف سيستمر، وهذا ما كان وهو كائن إلى اليوم.

فلا يبقى ولم تثبت جدوى رأي إلا رأي مَن يؤمن بأن مصدر السلطة السياسية هو اختيار العامّة، أي الديمقراطية، وكلما كان عدد أكبر من الناس داخلين في الاختيار كلما كان الأمر أحسن، وكلما ازداد تحسين أصول الشورى العامّة كلما كان الوضع أسلم وأنظف وأبرك.

يزعم البعض أن سبب احتراب الأمّة هو أنهم لم يسلّموا لرأيه في كون مصدر السلطة السياسية هو الله أو النبي. زعم باطل وغير نافع اليوم ولم ينفع في الأمس، وما لم ينفع خلال أربعة عشر قرناً ولا اليوم فلن ينفع في المستقبل. السياسة حق الناس، فهي للناس.

...

عن أصل الاختيار في السياسة: يقول البعض ممن يعيش في دولة طغيان أنه لا يبالي بالسياسة وهو راضي بالملكية العائلية أو العسكرية القائمة حالياً وهو يريدها، ويبرر لها بالتالي قمعها للمعارضين من سعاة الحرية.

يقع هذا الصنف في مغالطة كبرى. هو يوهم نفسه أنه "يريد" الحكم القائم، ويغفل عن أن إرادته هذه لا قيمة لها أصلاً، وما هي إلا كإرادة شخص يتعرض للاغتصاب فيقول "أنا أريد هذا المغتصب ويعجبني ما يقوم به" وكأن المغتصب سيبالي أصلاً بإرادته وقبوله. لا تستطيع أن تختار حكماً يقوم على نقض قيمة اختيارك وكل اختيار.

الأناني الذي يقول "لأن الحكم القائم وإن كان طغياناً فهو يناسب مصلحتي وقيمي ولذلك أنا موافق عليه"، مثل هذا الذي يعتقد بانعدام قيمة مبدأ الاختيار، لا يستحق أن يُحتَرَم اختياره. فإذا وجد في حياته بعد ذلك مَن يسومه سوء العذاب أو ينهب ماله أو يعتدي عليه فلن يكون له الحق الأخلاقي بالرد على المعتدي عليه لأن المعتدي عليه سيقول له "أنا أردت فعلك ذلك بك ولا أبالي باختيارك كما لم تبالي أنت باختيار سعاة الحرية".

الواقع أنه لا يوجد إنسان عادةً إلا ويعلم سوء سلب اختياره. الطفل الذي أُخذت لعبته منه بالغصب، والمرأة التي يهينها زوجها حين تعارضه، الأجير الذي يرى تقديم صاحب العمل لمصلحته على راحته ورأيه، الطاغية نفسه حين يرى من حوله ممن لا يطيعه أو لا يبالي به أو يجد دولاً أقوى من دولته تجبره على أمور يكرهها، وهلمّ جرّاً. لا يوجد إنسان إلا ويعلم من ذات نفسه أن الاختيار أفضل من الاجبار، وأن الاختيار جنّة والاجبار عذاب. القبول ضروري حتى يكون الشيء مرضيا عنه، فانظر مثلاً كيف أن إجبارك على شيء وإن كنت تحبّه في الأصل لكن بمجرّد دخول عنصر الاجبار يتسمم في نظرك ويؤذيك، راقب حياتك وتذكّر مواقفك وسترى

هذا كثيراً، وستجد الفرق بين رضاك وسخطك هو في قبولك ورفضك أي وجود اختيار وإن كان الموضوع واحداً.

الحرية نور ولو كان الموضوع ظلاماً، والجبرية ظلام ولو كان الموضوع حَسَناً.

...

أكثر الناس يفكّر في جسمه وأملاكه الآن. هذه الثلاثة، الجسم والأملاك والحاضر، تشكّل سوراً حول عقله ولا يفهم الأمور إلا في ضوئها وحدودها. شرقاً وغرباً، مؤمن وملحد، فليكن ما يكون بحسب الظاهر، الناس جميعاً وعموماً يعيشون في قيد هذه الثلاثة بادئ ذي بدء.

من أجل بداية التنوير، لابد من إدخال عنصر النفس. حين تبدأ تراقب نفسك وتراعيها ستجد نظرتك صارت أوسع وأدق وأعمق وأحسن. لأن عدم اعتبارك نفسك لا يلغيها ولا يبطل وجودها وأثرها، بل تبقى مضطربة مريضة متعذبة كامنة النار فيك وأنت لا تشعر بوضوح بكثير مما تعيشه وما سببه والسبب في نفسك لكن انحصارك في الجسم والأملاك والآن جعلك أعمى عن نفسك.

بعد إدخال عنصر النفس، ستبدأ عينك تنظر إلى وجودك على أنه نفساني أكثر منه جسماني، وسيصبح الوقت عندك هو الوقت النفسي يعني حالتك النفسية بشكل رئيس، وما سوى ذلك من أمور الجسم والأملاك والوقت الطبيعي سيصبح ثانوياً وتابعاً لنفسك ومقتضياتها.

بعد اتخاذ النفس موقعها في مركز وجودك، سيصبح التعقل أعلى أعمالك وأكبر اهتماماتك، لأن النفس تستنير بالعقل وتُظلم بدونه. والعقل سيدلّك على الحق، وحضور في الحق حضور في الله تعالى الذي هو الحق المبين. تعظيم الحرية والنظام والأخلاق والأحكام كلها فروع مركزية النفس.

وجودك مملكة، وعيك عرشها، والجالس على العرش إما أن يكون النفس وإما أن يكون الجسم وإما أن يكون الأملاك المادية. فإن كان الأملاك، خسرت الدنيا والآخرة لأن جسمك سيتعذب من أجل تحصيل الأملاك والحفاظ عليها وزيادتها وستقبل ذلك طلباً لمزيد من الأملاك. وإن كان الجسم، خسرت الآخرة وتعذبت نفسك. وإن كان النفس، فسيكون لك خير الآخرة والأولى بإذن الله بشرط الاستمرار في الحكم بالنفس ولها والعمل بحسب مقتضياتها.

...

الدين ينزل من الله كسيف من حديد يضعه في أيدي سعاة الحرية، لكن حين يتحكم فيه الجاهلون والدجالون فإنهم يجعلون الناس يذيبون سيوفهم ثم يحولون الحديد إلى أغلال وقيود يكبّلونهم بها.

...
الغفلة أمر قبيح، ودجل الملوك أقبح منه. لاحظ كم مرّة ينخدع عرب الجزيرة بالدجل السعودي. جاء دجالهم ابن سعود ومعه مشايخ الوهابية الملاعين وقدّمهم على تعصّبهم لأنه أراد استعمالهم وبقية الكلاب من أتباعهم حتى يعضّوا له المسلمين ويقتلوهم وقد فعلوا، فلما استقرّ له الحال بعد غزو الحجاز انقلب على متعصبي الوهابية ممن يسمونهم الإخوان وقتلهم، فهذا أوّل تغيّر من التشدد إلى التساهل. واستمر الحال حتى ظهر الخميني وجهيمان الوهابي وفعل ما فعل في الحرم المكي واحتاجوا إلى محاربة المدّ السوفيتي الشيوعي ولكل ذلك انقلبوا مرّة أخرى من التساهل إلى التشدد، ثم لما انتهت هذه الأمور كما هو الحال الآن انقلبوا من التشدد إلى التساهل بل إلى العربدة الفاضحة والرقاعة الفاحشة. تشدد ثم تساهل ثم تشدد ثم تساهل، الدين عندهم لعبة وآلة. لكن الشيء الوحيد الذي لم يتغيّر في كل هذه الفترة هو قواعد الملك الطاغي، هذه بقيت بل ازدادت حدّتها مع الوقت وهي الآن على أسوأ ما يمكن في تاريخهم المظلم.

...
خلاصة الإسلام في بُعده الأفقي والعمودي لخّصه الصحابي الذي قال {جئنا لنُخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد}.

فقوله {من عبادة العباد} هو التحرر السياسي. وهو قاعدة الدعوة والعمل كله، ويشترك فيه أهل الإيمان وأهل العقل معاً. وهو البُعد الذي جعل الحسين يقول للذين جاءوا يحاربونه بأنهم إن لم يكونوا من المؤمنين فليكونوا من الأحرار، أو كما قال عليه السلام. كل الناس يمكن أن يجتمعوا على هذه القاعدة، وأقول "الناس" ولا أقول الأنعام، والناس هم أهل القلب وأهل العقل، وأما مَن لا قلب يؤمن ولا عقل يفكّر فليس مما نحن فيه في شيء.

ثم بعد ذلك يأتي قوله {عبادة رب العباد} وهو التحرر الروحي. ويعني التحرر من الدنيا إلى الآخرة، والتحرر من العالَم إلى إله العالَم المتعالي. فالحرية إما حرية من مخلوق وإما حرية من الخلق، فالحرية من المخلوق {عبادة العباد}، والحرية من الخلق {عبادة رب العباد}.

ومن هنا قال الحلاج {أنا الحق}، وختم حياته قبل استشهاده بآية قرآنية "ويعلمون أنها الحق" فكانت كلمة {الحق} آخر كلمة ينطق بها وهي الكلمة التي عاش بها وتوحّد معها. فحين قال الحلاج {أنا الحق} قصد أنه متماهي تماماً في القرءان الذي هو الحق، ونفسه متعينة في الآخرة لا في الدنيا ولذلك قرأ آية موضوعها الآخرة كآخر كلمة ختم بها عمره، وإرادته متوجهة لله وحده الذي هو الحق، وعينه لا ترى إلا الله وتجلياته وهو الحق.

....انتهى والحمد لله.